دولة : ماليزيا
وزارة التعليم العالي
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم الدعوة وأصول الدين

تحت عنوان : أساليب الدعوة عند الشيخ محمد الغزالي

(رحمه الله)(١٩١٧م -١٩٩٦م)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

هيكل (ج)

تحت إشراف : فضيلة الأستاذ الدكتور : محمد السيد إبراهيم البساطي

مقدم من الطالب : أبوبكر محمد أبوبكر

الرقم المرجعي : AM748

العام الجامعي : ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

. المقدمة :

الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علي خير البرية وهادي البشرية ، صاحب الوجه الأنور ، والجبين الأزهر ، والقلب الأطهر ، صاحب اللواء المعقود ،والحوض المورود ، إمام الدعاة ومرشدهم إلي أحسن المناهج وأقومها ، ونشهد أنه بلغ الرسالة وأدي الأمانة ونصح الأمة ، وكشف الغمة وجاهد في الله حق جهاده حتي أتاه اليقين صلي الله عليه وعلي آله وأصحابه ومن سار علي نهجه إلي يوم الدين أما بعد : فإن من نعم الله تعالي الباهرة وحكمه البالغة ، أن أكمل نصاب هذا الدين ، بكمال وسائل تبليغية وأساليب بلاغية ، وشمولها وتنوعها في خطابها ومضمونها ومنهجها ، قال تعالي : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)[1]

ولاشك أن من كمال الدين وتمامه كمال وسائل تبليغية وتمامها ،[2]وحيث أن وسائل الدعوة اجتهادية وهو قول أكثر الجماعات الإسلامية المعاصرة ، لذا أن الوسائل المستحدثة ثبت نفعها ، واهتدي كثير من الناس بواسطتها إلي الإسلام .

وأنا اخترت في موضوع بحثي أساليب الدعوة عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : لأن الشيخ الإمام محمد الغزالي واحد من دعاة الإسلام العظام ومن كبار رجال الإصلاح اجتمع له مالم يجتمع إلا لقليل من النابهين ، فهو مؤمن صادق الإيمان ، مجاهد في ميدان الدعوة ونذر حياته كلها لخدمة الإسلام وسخر قلمه وفكره في بيان مقاصده وجلاء أهدافه ، وشرح مبادئه والذود عن حماه ، والدفاع عنه ضد خصومه رزقه الله فكرا عميقا ، وثقافة إسلامية واسعة ومعرفة رحيبة بالإسلام ، فأثمر ذلك كتبا عدة في ميدان الفكر الإسلامي ، ووهبه الله تعالي فصاحة وبيانا يجذب من يجلس إليه ويأخذ بمجامع القلوب فتهوي إليه مشدودة بصدق اللهجة ، وروعة الإيمان ووضوح الأفكار وجلال مايعرض من قضايا الإسلام ، فكانت خطبه ودروسه ملتقي للفكر ومدرسة للدعوة في أي مكان حل به ،

---

[1] سورة المائدة : الآية ٣

[2] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١ ص ٦٢٠

عالم بأدواء المجتمع الإسلامي في شتي ربوعه ، أوقف حياته علي كشف العلل ومحاربة البدع وأوجه الفساد في لغة واضحة لاالغموض فيها ولا التواء رحمه الله تعالي.

أنني عند البحث عن فكرة من الأفكار في كتبه أجد أمامي نصوصا كثيرة تتناول كلها الموضوع الواحد بأساليب مختلفة وصور متنوعة وكلها معبر ورائع فيحتار المرء : أيها يأخذ وأيها يدع ، وكم يأخذ منها وكم يترك ،فما الحال والحديث عن الدعوة وطريقتها عنده ؟ .

وهذه حقيقة رغم وجود منتقديه الكثيرين وعلي كل تقدير فإن الناقد بصير.

كلمة شكر وتقدير:

أحمد الله تعالي علي توفيقه ،ثم أتقدم بالشكر والعرفان إلي القائمين علي جامعة المدينة العالمية بماليزيا ، التي أتاحت لي فرصة الدراسة ووفرت لي سبل ذلك ، كما أشكر الإخوة القائمين علي كلية العلوم الإسلامية من إداريين ومعلمين ، كما أتقدم بفائق الشكر والتقدير إلي مشرفي في البحث ،أستاذي الدكتور : محمد السيد إبراهيم البساطي الذي رعاني باهتمامه واستفدت منه كثيرا في توجيهاته القيمة في جميع مراحل البحث .

وأشكر كل من أسدى إلي نصحا وتوجيها ، فجزآهم الله خيرا

خطة البحث

١. المقدمة

٢ : مشكلة البحث : تتلخص فيما يلي :ـــــ

١: أهمية استخدام الأساليب الإيجابية والتي تتمثل في استخدام الوسائل المناسبة لكل شريحة.

٢ : الاستفادة من أساليب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .

٣ :سلبيات الدعوة التي تفتقد الأسلوب الأمثل للدعوة .

٣ : أهداف البحث : ١: الإسهام في إثراء المكتبة الإسلامية بإضافة مايمكن من جديد مما يكون فيه لطلبة العلم من فائدة .

٢: التعرف علي المزيد من الأساليب الدعوية التي ابتكرها العلماء منهم الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .

٤ :الدراسات السابقة : الدراسات التي رجعت إليها واستفدت منها : ١: كتاب الدعوة الإسلامية وأساليبها وأهدافها للدكتور عبد الكريم زيدان .

٢: كتاب وسائل ثقافة داعية للدكتور القرضاوي .

٣: كتاب واقعنا المعاصر للداعية محمد قطب .

٤: أساليبه والوسائل التي اعتمد عليها الشيخ محمد الغزالي استفدت من كتاباته الشخصية مثل : كتابه تراثنا .وكتابه الحق المر ، وكتابه هذا ديننا

وكتابه مقالات الشيخ الغزالي، وكتابه خطب الشيخ الغزالي.

وكتابه السنة بين الفقهاء والمحدثين / وكتابه الدعوة الإسلامية /وكتابه هموم داعية / وكتابه فقه السيرة وغير ذلك من كتبه التي تتحدث في الدعوة وأساليبها .

٥: منهج البحث : اتبعت في بحثي بحمد الله تعالي وعونه هذه المناهج التالية :

١ : المنهج الاستقرائي .

٢: المنهج التاريخي .

قد استخدمت هذه المناهج وغيرها للوصول إلي أساليب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .

٦: هيكل البحث : يتكون البحث من مقدمة ، وثلاثة فصول، كل فصل يتألف من عدة مباحث ،ومطالب ، وخاتمة : تتضمن أهم النتائج والتوصيات .

٧ : تقسيمات الرسالة : وقسمت الرسالة إلي ثلاثة فصول : ـــــ

الفصل الأول : حياة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالي وفيه مبحثان :

المبحث الأول :عن حياته الاجتماعية وفيه مطالب :

المطلب الأول : مولده ونشأته .

المطلب الثاني : صفاته الخلقية .

المطلب الثالث :المحن الذي أصابته في سبيل الدعوة .

المطلب الرابع : وفاته .

المبحث الثاني : عن حياته العلمية وفيه مطالب :

المطلب الأول : شيوخه .

المطلب الثاني : تعليمه

المطلب الثالث : مكانته العلمية .

المطلب الرابع : مؤلفاته .

الفصل الثاني : بعض الأساليب الدعوية وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف الأساليب ، والوسائل .

المبحث الثاني : أسلوب الحكمة .

المبحث الثالث :أسلوب الموعظة .

المبحث الرابع: أسلوب المجادلة .

الفصل الثالث : تمييز أساليب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله وجهوده لنشر الدعوة : وفيه مباحث :

المبحث الأول : الأساليب التي انتهجها في دعوته .

المبحث الثاني : فكره وأساليبه في تربية الإناث .

المبحث الثالث : الداعية الناجح في الأساليب عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .

المبحث الرابع : مكانة القرآن الكريم عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .

المبحث الخامس : أساليب الدعوة في زمن العولمة عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله .

وفي الختام :أن أساليب الدعوة عند الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تحتاج إلي دراسة أوسع وتعمق أكثر ولايمكن حصرها في هذا البحث المتواضع الذي كتب في فترة محدودة.

التوصيات : أوصي إخواني الدعاة بقراءة كتب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالي

الفصل الأول :

حياة الشيخ محمد الغزالي الاجتماعية والعلمية وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عن حياته الاجتماعية وفيه أربعة مطالب وهى :

المطلب الأول : مولده ونشأته

المطلب الثاني : صفاته الخلقية

المطلب الثالث: المحن التي أصابته فى سبيل الدعوة

المطلب الرابع : وفاته .

المبحث الثاني : عن حياته العلمية : وفيه أربعة مطالب وهى :

المطلب الأول : شيوخه

المطلب الثاني : تعليمه

المطلب الثالث: مكانته العلمية

المطلب الرابع : مؤلفاته

المبحث الأول : حياته الاجتماعية وفيه مطالب :

المطلب الأول : مولده ونشأته :

مولده : ولد الشيخ محمد الغزالي أحمد السقا ، في ٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٥ هجرية الموافق ٢٢ سبتمبر ١٩١٧ م ، ويقول الشيخ محمد الغزالي عن والده : (كان يحب شيخ الإسلام أبا حامد الغزالي وكان عاشقا للتصوف يحترم رجاله ويختار من مسالكهم مايشاء، لأنه كان حافظا للقرآن جيد الفهم لنصوصه ، ويروي أبي لأصدقاء الأسرة أن تسميتي(محمد الغزالي) جاءت عقب رؤية مناميه وبإيحاء من أبي حامد رحمه الله وأيا ما كان الأمر فإن التسمية اقترنت بشخصي ، ولكنها لم تؤثر في تفكيري فأنا انتفع من تراث أبي حامد الغزالي صاحب (تهافت الفلاسفة) كما انتفع من تراث خصمه ابن رشد صاحب (تهافت التهافت) وإذا كان الغزالي يحمل دماغ فيلسوف وابن تيمية يحمل رأس فقيه فإني أعتبر نفسي تلميذا لمدرسة الفلسفة والفقه معا) [٣]

نشأته :نشأ الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في بيئة متدينة ، بين إخوة سبعة وكان هو أكبرهم ،ووالده كان تاجرا صالحا وهو الذي وجه ابنه الغزالي إلي حفظ القرآن الكريم ، يقول : الشيخ محمد الغزالي عن والده : (بل إن من فضله عليَّ أن باع مايملك لكي يذهب بي ، وأذهب معه إلي أقرب مدينة يقع فيها معهد أزهري حيث هاجر من قريته (تكلا العنب)

بمحافظة البحيرة إلي الإسكندرية ، كي انتسب إلي الأزهر وعمري عشر سنوات ،

وطفولتي كانت عادية ليس فيها شيء مثير ، وإن كان يميزها حب القراءة ، فقد كنت أقرأ كل شيء و لم يكن هناك علم معين ،بل كنت أقرأ وأنا أتحدث ، وأقرأ وأتناول الطعام) [٤]

المطلب الثاني : صفاته الخلقية : فقد تميز الشيخ محمد الغزالي رحمه الله بصفات كثيرة :

قل أن تجدها في أقرانه ، وربما كانت تربية الشيخ في بيت أبيه الصالح ، والتحاقه بجماعة الإخوان المسلمين ، وتأثره بشيوخه من علماء الأزهر وطبيعة المرحلة التي عاشها ،من

---

٣ خطب الشيخ محمد الغزالي ص١

٤ : نفس المصدر السابق ص١

الملكية والاحتلال الإنجليزي والثورة ، والحكم الدكتاتوري ، والاعتقالات وغيرها من أحداث كان لها كبير الأثر في صفاته المكتسبة ، بالإضافة إلي صفاته الشخصية الثابتة الموروثة ، ومن أهم صفاته رحمه الله : الإنصاف ورد الفضل لأهله ، فكان دائما ما يذكر أهل الفضل بالفضل ،

ولو اختلف معهم ، وكثيرا ماذكر فضل شيوخه عليه وتأثره بهم ، فهو يقول مثلا عن الشيخ ألبنا رحمه الله : أني واحد من التلاميذ الذين جلسوا إلي حسن ألبنا ، وانتصحوا بأدبه ، واستقاموا بتوجيهه ، واستفادوا من يقظا ته ولمحاته [٥] ويقول عن انتسابه لجماعة الإخوان : (انتسبت لجماعة الإخوان في العشرين من عمري ، ومكثت فيها قرابة سبع عشرة سنة ، وشاء الله أن يقع نزاع حاد بيني وبين قيادة الجماعة ، انتهي بصدور قرار يقضي بفصلي ، وأريد أن أكون منصفا ، فإن الزعم بأن جميع الإخوان أشرار سخف وافتراء ، والزعم بأن الجماعة كلها كانت معصومة من الخطأ غرور وإدعاء) [٦] ومن الصفات التي تميز بها الشيخ رحمه الله : التجرد وعدم الانحياز في كثير من آرائه ، وخاصة مع الأشخاص ، فهو كثيرا ماذكر الانحلال الغربي ، ومع هذا يذكر أن القوم أصدق منا في كثير من الأمور ،وأن ما توصلوا إليه كان نتيجة تخطيط وجهد وتعب ، وشوري وديمقراطية يعيشونها .

ويقول الشيخ رحمه الله : علينا أن نكشف الغطاء عن فريق من الدعاة الذين تكلموا عن الإسلام واشتغلوا بعرض تعاليمه ، فكان أسلوبهم في الفهم والعرض عونا علي إنجاح الحركات المناوئة له ، وإمدادها بقوي دفعتها إلي الأمام ، هذا الفريق وإن كان مخلصا فيما صنع فهو يعيد إلي الأذهان قصة الدابة التي قتلت صاحبها ، وهي تدافع عنه ، وإن كان مغرضا يبطن للإسلام غير مايظهر ، أو يضمر لدعاته الأوفياء غير ما يجب ، فالويل له من الله ومن الناس .[٧] وقد عرف عن الشيخ أنه كان رقيق القلب ، أما التحدي فيثير فيه الغضب ،

ولعل هذا مما أثار عليه حفيظة الكثيرين ، كان الشيخ رحمه الله تعالي : سريع الدمعة ،

---

[٥] : أنظر موكب الدعوة للغزالي ص١٠

[٦] : أنظر قذائف الحق للغزالي ص٧١

[٧] :موكب الدعوة ص١٣ ـــــ١٤

وإذا نظر إلي رجل بائس الحال في الطريق فيرق حاله له ، ويصب اللوم علي حكام المسلمين لتقصيرهم في حق شعبهم ، إلي غير ذلك .

يقول الشيخ رحمه الله تعالي : (اللفظة الرقيقة تطوي عنقي فأستسلم ، أما التحدي فإنه يهيج في طبيعتي غرائز الخصام) [٨] .

المطلب الثالث : المحن الذي سبيل أصابته في الدعوة : اعتقل الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالي بنشاطه المكثف ضمن جماعة الإخوان المسلمين التي امتدت ١٧ سنة ١٩٤٩م وقضي في معتقل الطور في شبه جزيرة سيناء قرابة العام ، وصفه الشيخ القرضاوي رفيقه في المعتقل بقوله كان يصلي بنا الصلوات الخمس ، ويقنت بنا قنوت النوازل ويلقي علينا محاضرة [٩]

ثم اعتقل في عهد جمال عبد الناصر لموقفه الشجاع بالإذاعة بعدم وصف الإخوان المسلمين بالإرهابيين قائلا شتم الإخوان وحدهم أي دون الحكام فليس من خلقي أن أجهز علي جريح ، وما هي إلا ساعات حتي كانت القيود في يدي ، فلم تلن له قناة بل همة أن يستبقي للدعوة وجودا في ذلك الظلام الذي ساد مصر فترة الستينات ، وصودرت كتبه ، ومنع من الترقية الوظيفية بموقفه ضد الشيوعيين حيث كوفئ بأن هبط من مدير المساجد المصرية ، إلي مجرد مفتش لها ، بمعني ضياع خمسة عشر عاما في سلم الوظائف ومنع الخطابة ، ثم حاول الرئيس أنور السادات إلصاق تهمة الإرهاب به ، ولكنها لم تجد مبررا ،

أضطر مع تلك المضايقات إلي الهجرة خارج مصر لعدة سنوات .

وغير ذلك من التضحيات الكثيرة في جهاد الدعوة فرحمه الله تعالي رحمة واسعة [١٠]

المطلب الرابع : وفاته :انتقل إلي رحمة الله وترك للعالم الإسلامي والعربي مكتبة ضخمة من الكتب الفكرية ،والدراسات الدعوية التي يجد فيها الناس والدعاة بشكل خاص الفائدة الفكرية والمتعة الوجدانية في كتب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالي وادخله فسيح جناته

---

٨ : قذائف الحق ص ١٣٨

٩ : موقف الإسلام من استبداد الحكام ص١٥

١٠ : نفس المصدر السابق ص١٥

آمين ، توفي الشيخ رحمه الله في ٢٠ شوال ١٤١٦ه الموافق ٩ مارس ١٩٩٦م في المملكة العربية السعودية أثناء مشاركته في مؤتمر حول الإسلام وتحديات العصر الذي نظمه الحرس الوطني في فعالياته الثقافية السنوية المعروفة ب

(المهرجان الوطني للتراث والثقافة) ودفن رحمه الله بمقبرة صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم في البقيع بالمدينة المنورة ، وكان قبلها صرح بأن أمنيته أن يدفن في البقيع [١١]، وتحقق له ماتمني نسأل الله لنا وله الفردوس الأعلى في جنات النعيم .

١١ : دراسات في فكر الشيخ محمد الغزالي للباحث : محمد عباس محمد ص ٤

المبحث الثاني : عن حياته العلمية : وفيه مطالب :

المطلب الأول : شيوخه :

اطلعت علي عدة كتب الشيخ محمد الغزالي للبحث علي جميع شيوخه ، فوجدت بعض مشايخه نقلا من خطب الشيخ فيما يلي :ـــــــــــ

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : (تأثرت بالشيخ عبد العظيم الزر قاني الذي كان مدرسا بكلية أصول الدين وهو صاحب كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) وكان عالما يجمع بين العلم والأدب وعباراته في كتابه المذكور تدل علي أنه راسخ القدم في البيان وحسن الديباجة ، ونقاء العرض ، وفي معهد الإسكندرية الديني تأثرت بالشيخ إبراهيم الغرباوي ،

والشيخ عبد العزيز بلال ، وكانا يشتغلان بالتربية النفسية ولهما درجة عالية في العبادة والتقوى ، وكانا يمزجان الدرس برقابة الله وطلب الآخرة وعدم الفتنة بنيل الإجازات العلمية لأن للألقاب العلمية طنينا ربما ذهب معه الإخلاص المنشود في الدين ، وقال الشيخ رحمه الله : تأثرت أيضا بالشيح محمود شلتوت الذي أصبح فيما بعد شيخا للأزهر ، اذكان مدرسا للتفسير ، وله قدرة ملحوظة في هذا المجال إلي جانب رسوخ قدمه في مجال الفقه وعلوم الشريعة إجمالا وقد كان رحمه الله شخصية عالمية بارزة يلتف حولها الكثيرون ،

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : أما تأثري الأكبر فقد كان بالإمام الشهيد حسن ألبنا وكان عالما بالدين كأفقه ما يكون علماء العقيدة والشريعة وكان خطيبا متدفقا ينساب الكلام منه أصولا لا فضولا وحقائق لا خيالات ، وكان الشيخ الشهيد حسن ألبنا رحمه الله : يدرك المرحلة الرهيبة التي يمر بها الإسلام بعد ما سقطت خلافته وذهبت دولته ونجح المستعمرون شرقا وغربا في إنتهاب تركته ، فكان الرجل يعارض هذا الطوفان المدمر عن طريق تكوين الجماعات التي تعتز بدينها وتتشبث بالحق مهما واجهت من متاعب أو عوائق وويلات ، الشيخ حسن ألبنا رحمه الله كان صديقا لكل من يلقي من أهل الإيمان)[١٢]

---

١٢ :أنظر خطب الشيخ محمد الغزالي ص٢

المطلب الثاني : تعليمه :

تعلم في معهد الإسكندرية الديني الابتدائي وظل بالمعهد حتي حصل منه علي شهادة الكفاءة ، ثم الشهادة الثانوية الأزهرية ، ثم انتقل بعد ذلك إلي القاهرة سنة ١٣٥٦ه الموافق ١٩٣٧م وألتحق بكلية أصول الدين بالأزهر الشريف ، وبدأت كتاباته في مجلة الإخوان المسلمين ، أثناء دراسته بالسنة الثالثة في الكلية بعد تعرفه علي الإمام حسن ألبنا مؤسس الجماعة وظل الإمام يشجعه علي الكتابة حتي تخرج بعد أربع سنوات في سنة ١٣٦٠ه ـــــــــ١٩٤١م ، وتخصص بعدها في الدعوة والإرشاد حتي حصل علي درجة العالمية سنة ١٣٦٢ه ـــــــــ ١٩٤٣م وعمره ست وعشرون سنة ، وحفظ كتاب الله تعالي في العاشرة من عمره ، ويقول الإمام الغزالي عن نفسه (كنت أتدرب علي إجادة الحفظ بالتلاوة في غدوي ورواحي ، وأختم القرآن في تتابع صلواتي ، وقبل نومي ، وفي وحدتي ، وأذكر أنني ختمته أثناء اعتقالي ، فقد كان القرآن مؤنسا في تلك الوحدة الموحشة) .

ويتحدث الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن لقائه بالشيخ الإمام حسن ألبنا رحمه الله فيقول : (كان ذلك أثناء دراستي الثانوية في المعهد بالإسكندرية ، وكان من عادتي لزوم مسجد عبد الرحمان بن هرمز حيث أقوم بمذاكرة دروسي ، وذات مساء نهض شاب لأعرفه يلقي علي الناس موعظة قصيرة شرحا للحديث الشريف (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن [١٣]) وكان حديثا مؤثرا يصل إلي القلب ، ومنذ تلك الساعة توثقت علاقتي به وأستمر عملي في ميدان الكفاح الإسلامي مع هذا الرجل العظيم إلي أن استشهد عام ١٩٤٩م رحمه الله تعالي .

المطلب الثالث : مكانته العلمية وثناء العلماء له :

فهمه العميق الدقيق لروح الشريعة الإسلامية الحنفية السمحة فهذا الدكتور يوسف القرضاوي يقول مبينا مكانة الشيخ محمد الغزالي : (والحق أن هذه الدراسة أثبتت أننا

---

١٣ : رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

أمام قائد كبير من قادة الفكر والتوجيه ، وإمام فذ من أئمة الفكر والدعوة والتجديد ، بل نحن أمام مدرسة متكاملة متميزة من مدارس الدعوة والفكر والإصلاح .[١٤])

وهذا المفكر المعروف الدكتور : (محمد عمارة يقول :لقد أدركت وأنا الذي سبق ودرست الآثار الفكرية لأكثر من ثلاثين من أعلام الفكر الإسلامي وكتبت عنهم الكتب والدراسات أدركت أنني حيال الشيخ الغزالي رحمه الله ـــــــــــ لست بإزاء مجرد داعية متميز ، وعالم من جيل الأساتذة العظام ، ومؤلف أومفكرمتعددالإهتمامات ، وواحد من العاملين علي تجديد فكر الإسلام لتتجدد به حياة المسلمين ، أدركت أنني بإزاء جميع ذلك وأكثر منه وأهم [١٥])

ويقول الدكتور: (عبد الصبور شاهين ، وهو يقدم خطب الشيخ : والحق أن كتابا يوضع علي علاقة اسم الأستاذ الغزالي لايحتاج إلي تقديم ، فحسبه في تقديري أن يتوج بهذا العلم الخفاق ، وقد قرأت له الدنيا عشرات الكتب في الإسلام ودعوته ، وتلقت عنه مالم تتلقي عن أحد من معاصريه ، حتي إن عصرنا هذا يمكن أن يطلق عليه في مجال الدعوة : عصر الأستاذ الغزالي[١٦]) وهذا الكاتب السوري الأستاذ :عمر عبيد حسنة : صاحب القلم الرصين ، يقول عن الشيخ في تقديمه لأول إصدارات من سلسلة كتاب الأمة : (فهو يعتبر بحق أحد شيوخ الدعوة الحديثة وفقهائها ، يحمل تاريخ نصف قرن ويزيد من العمل الإسلامي ، فهو أحد معالم الحركة الإسلامية الحديثة ورموزها [١٧])

إن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : أمتاز عن غيره من العلماء في العصر الحديث بمايلي :

١: فهمه لروح الشريعة المنفعلة والمحركة لنهضة الأمة الإسلامية .

٢: إدراكه أزمة الأمة الإسلامية المعاصرة .

٣: شجاعته النادرة وتصديه المتميز للجامدين والمعاندين والمقلدين .

٤: حكمته وعقلانيته ورشده المتميز في خدمة الإسلام والمسلمين .

٥: تصديه بالكتابة والتأليف .

---

١٤ : الشيخ الغزالي كما عرفته ، في نهاية الكتاب

١٥ : الشيخ محمد الغزالي : الموقع الفكري والمعارك الفكرية ص٢٤

١٦ : خطب الشيخ الغزالي ج١ ص٣

١٧ :أنظر مشكلات في طريق الحياة الإسلامية للغزالي ص٩

٦: تصديه بكل الوسائل الناجحة .

٧: تأسيه الصادق والحقيقي والواقعي بالمنهج النبوي الصحيح .

المطلب الرابع : مؤلفاته :

الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : واحدا من العلامات البارزة في الفكر الإسلامي المعاصر ، رحلة طويلة من العطاء الفكري المتميز دامت علي مدار ستين سنة بأكملها ، كانت محصلتها ماينوف عن الستين كتابا في مجالات فكرية شتي ، أثرت بدورها المكتبة العربية والإسلامية علي صعيد الفكر الإصلاحي الوسطي الرشيد ،وهذه بعض مؤلفاته أذكرها فيما يلي : ١: الإسلام والأوضاع الإقتصادية .

٢: الإسلام والمناهج الاشتراكية .

٣: من هنا نعلم .

٤: الإسلام والاستبداد السياسي .

٥:عقيدة المسلم .

٦: خلق المسلم .

٧: فقه السيرة .

٨: قذائف الحق .

٩:حصاد الغرور .

١٠:جدد حياتك .

١١: الحق المر .

١٢: ركائز الإيمان بين العقل والقلب .

١٣: التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام .

١٤: مع الله .

١٥: جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج .

١٦: الطريق من هنا .

١٧: المحاور الخمسة للقرآن الكريم .

١٨: الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر .

١٩: دستور الوحدة الثقافية للمسلمين .

٢٠: الجانب العاطفي من الإسلام .

٢١: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة .

٢٢: السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث .

٢٣: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية .

٢٤: سر تأخر العرب والمسلمين .

٢٥: كفاح دين .

٢٦: هذا ديننا .

٢٧: الإسلام في وجه الزحف الأحمر .

٢٨: علل وأدوية .

٢٩: صيحة تحذير من دعاة التنصير .

٣٠: معركة المصحف في العالم الإسلامي .

٣١: هموم داعية .

٣٢: مائة سؤال عن الإسلام .

٣٣: خطب في شئون الدين والحياة خمسة أجزاء

٣٤: الغزو الفكري يمتد في فراغنا .

٣٥: كيف نتعامل مع القرآن الكريم .

٣٦: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه .

٣٧: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم .

٣٨: من كنوز السنة .

٣٩: تأملات في الدين والحياة .

٤٠: الإسلام المفتري عليه بين الشيوعيين والرأسماليين .

٤١: كيف نفهم الإسلام .

٤٢: تراثنا الفكري في ميزان الشرعي والعقل .

٤٣: قصة حياة .

٤٤: واقع العالم الإسلامي في مطلع القرن الخامس عشر .

٤٥: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء .

٤٦: حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي .

٤٧: دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين .

٤٨: الإسلام والطاقات المعطلة .

٤٩: الاستعمار أحقاد وأطماع .

٥٠: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة .

٥١: نظرات في القرآن .

٥٢: ليس من الإسلام .

٥٣: في موكب الدعوة .

وغيرها من المؤلفات ، ولقد ترجم الكثير من هذه المؤلفات القيمة إلي العديد من المؤلفات : كالإنجليزية ، والتركية ، والفارسية ، والأردية ، والإندونيسية وغيرها ، ومعظم الذين قاموا بهذه التراجم هم من تلامذة الشيخ محمد الغزالي ومحبيه وعارفي فضله الذين استفادوا من فيض علمه وعطائه [١٨] .

١٨ : الداعية الأديب الشيخ محمد الغزالي للدكتور : عبد الله العقلي ص١٠

الفصل الثاني

بعض أساليب الدعوة وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف الأساليب والوسائل

المبحث الثاني : أسلوب الحكمة

المبحث الثالث : أسلوب الموعظة

المبحث الرابع : أسلوب المجادلة

المبحث الأول : تعريف الأساليب والوسائل لغة واصطلاحا :

الأسلوب في اللغة: الطريق، ويقال سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وأسلوب الكاتب: طريقته في كتابته [١٩]ويقال أخذ فلان في أساليب في القول أي: أفانين منه[٢٠])

وفي الاصطلاح عرفها البيانو ني بأن الأسلوب هو: (طريقة الداعي في دعوته) أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة) فأساليب الدعوة: (الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته) أو كيفيات تطبيق مناهج الدعوة)[٢١]

إذا تأملنا الجانب الأول من التعريف طريقة، أو الطرق نجد أنه عام لا يفيد شيئاً محدداً، فأي طريقة وأي طريق؟ كما أن كلمة في دعوته أيضاً عبارة عامة فالدعوة عندما تطلق يراد بها أركان الدعوة وأصولها، ومناهجها؟ وأساليبها ووسائلها...الخ. فأي طريقة أو طريق يسلكها الداعية في جانب الأركان والمناهج...؟ الخ.

أما إذا تأملنا التعريف الثاني: (كيفية تطبيق مناهج الدعوة). نجد أن فيه شيء من القصور وأن المناهج هي: الخطط والنظم المرسومة للدعوة من حيث واضعها، وموضعها، وطبيعتها، وركائزها. وبما أن هذه الخطط تحتاج إلى تنزيل إلى أرض الواقع ولا يتم ذلك التنزيل إلا عبر أساليب الدعوة لزم الإشارة إلى ذلك في تعريف الأساليب وهذا ما خلا منه التعريف آنف الذكر.

عليه يمكن أن نضع تعريفاً فيه تلاف للقصور السابق ولعله في تقديري- هو أقرب للمعنى الاصطلاحي للأساليب وهو: (كيفية تنزيل خطط ونظم الدعوة المرسومة لها من حيث واضعها وموضوعها وطبيعتها، وركائزها، إلى أرض الواقع).

ثانيا: وسائل الدعوة:

الوسائل في اللغة مفردها وسيلة، والوسيلة بمعنى الوصلة والاتصال وهي في الأصل: ما توصل به إلى الشيء ويتقرب به، يقال وسل إليه وسيلة وتوسل [٢٢]إذن فالوسيلة في اللغة تأتي بمعنى: الوصلة والاتصال، والتوسل، والتقرب.

---

١٩ :المعجم الوسيط مادة : سلب ، ج ١ ص٤٤٣

٢٠ : لسان العرب ج١ص٤٧٢ ، والقاموس المحيط ج١ ص٨٦

٢١ : المدخل إلى علم الدعوة محمد أبو الفتح ص٤٧

أما في الاصطلاح عرفها محمد أبو الفتح البيانو ني بأنها: (ما توصل به إلى الدعوة[٢٣]) ولعل هذا التعريف مأخوذ من التعريف اللغوي للوسيلة. وفي اعتقادي فيه شيء من القصور والعموم لذا نجده يقول في موضع آخر عن تعريف وسائل الدعوة هو: (ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية [٢٤])

والمتأمل لهذا التعريف يجد فيه قدراً من التوسع عن سابقة، هذا إلى جانب احتوائه على جانب من التخصيص عندما ما ذكر تطبيق مناهج الدعوة. وفي اعتقادي أن التعريف يحتاج إلى توسع أكثر، وضبط أدق. وانطلاقاً من تعريف أستاذنا البيانو ني وتعريفنا للمناهج والأساليب انطلاقاً من كل ذلك يمكننا الخروج بهذا التعريف.

(هي الوسائط المقروءة والمسموعة والمرئية التي يتم من خلالها إيصال الدعوة إلى المدعوين)

وخلاصة القول إن المناهج، والأساليب والوسائل مصطلحات متلازمة، يتصل بعضها بالآخر فلا يمكن فصل أحدها عن الآخر، ولا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر فلا نجاح للمناهج القائمة على التخطيط والنظام بدون تطبيق وممارسة، وهذا ما تقوم به الأساليب ولا سبيل إلى التطبيق والممارسة إلا عبر وسائط يتوصل بها إلى المدعو وهذا ما تحققه الوسائل الدعوية وقد ضرب البيانو ني مثلاً لتقريب ذلك فقال: (إذا كانت العبادة منهجاً ونظاماً فإن من أساليبها الصلاة والزكاة، والحج وما إلى ذلك من تطبيق العبادة [٢٥])

ولتقريب التلازم بين المصطلحات الثلاثة أزيد علي ما قاله البيانو ني. فإذا كانت العبادة منهجاً والصلاة أسلوباً فإن الوضوء والطهارة والقبلة وما يصلى عليه وغيره من الأمور الأخرى المتعلقة بالصلاة تُعد وسائلاً لتنزيل فريضة الصلاة إلى أرض الواقع. فلا عبادة (التي هي المنهج) بدون صلاة (أسلوب) ولا صلاة بدون طهور (وسيلة).

فأي داعية يحتاج إلى وضع خطط ونظم لدعوته، وهنا تظهر أهمية المناهج، ولا بد له من التطبيق، وتنفيذ لتلك الخطط، وهنا تظهر أهمية الأساليب، ولا بد من توصيل كل ذلك إلى

---

٢٢ : محمد ابوالفتح البيانو ني ص٤٩

٢٣ : المصدر السابق ص٤٩

٢٤ : المصدر السابق ص٤٧

٢٥ : المدخل إلى علم الدعوة : محمد أبو الفتح البيانو ني ص ١٩٥

المدعو، ومن هنا تظهر لنا أهمية الوسائل. وخلاصة القول يظل التلازم قائماً في كل الأحوال والظروف لأن أمر الدعوة كله قائم على المناهج والأساليب والوسائل.

المبحث الثاني : أسلوب الحكمة

أولاً: تعريف الحكمة:

١- في اللغة:

الحكمة في لغة العرب تأتي بعدة معانٍ وهي: ١: تستعمل بمعني العدل،والعلم ،والحلم ،والنبوة ،والقرآن ، والإنجيل ، والسنة ، وما إلي ذلك من إطلا قات .

٢: وتطلق علي العلة يقال حكمة التشريع ، وما الحكمة من ذلك ؟ وعلي الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه ، ويقال للرجل حكيم إذا أحكمته التجارب ، أحكم الأمر أتقنه [٢٦]

٣: والحكمة :إصابة الحق بالعلم والعقل ، فالحكمة من الله تعالي معرفة الأشياء ، وإيجادها علي غاية الإحكام ، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات [٢٧]

٤: الحكمة : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء ، بأفضل العلوم [٢٨]

٥: وضع الأشياء مواضعها ، ومنها الإصابة في القول والعمل معا [٢٩]

ومن جملة هذه التعريفات يصبح تعريف الحكمة : بأنه الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه فيكون أسلوب الحكمة شاملا لجميع الأساليب الدعوية من هذا .

٦: والحكم والحكيم هما بمعني: الحاكم والقاضي ، والحكيم فعيل بمعني فاعل ، أوهوا الذي يحكم الأشياء ويتقنها ، فهو فعيل بمعني مفعل [٣٠]

٢- الحكمة اصطلاحاً:

ذكر العلماء مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، واختلفوا علي أقوال كثيرة : فقيل الحكمة ، والنبوة ، وقيل القرآن ، والفقه به ناسخه ومنسوخة، ومحكمه ، ومتشابهه ، وحلاله وحرامه ، وقيل الإصابة في القول والفعل ، وقيل : معرفة الحق والعمل به ، وقيل العلم النافع ، والعمل الصالح ، وقيل : الخشية لله ، وقيل السنة ، وقيل : الورع في دين الله ، وقيل:

---

٢٦ : أنظر لسان العرب مادة (حكم) ج١٢ ص١٤٠ ـــ ١٤٣ لإبن منظور ، والمعجم الوسيط ج١ ص١٨٩ .

٢٧ : مفردات القرآن للراغب ص١٢٧

٢٨ :النهاية في غريب الحديث لإبن الأثيرج١ ص٤١٩

٢٩ :البحر المحيط لإبن حيان ج ١ ص٣٩٣ ، وتفسير ابن كثير ١ ص١٨٤

٣٠ : النهاية في غريب الحديث والأثر لإبن الأثير ، باب الحاء مع الكاف ـــ مادة : حكم ج ١ ص ٤١٩

العلم والعمل به ، وقيل : وضع كل شيء في موضعه ، وقد ذكر بعضهم تسعة وعشرين قولا في تعريف الحكمة [31] وهذه الأقوال كلها قريب بعضها من بعض ، لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أوفعل ، فكل ماذكر فهو نوع من الحكمة ، فكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم حكمة ، فكل ماذكر من التفصيل فهو حكمة ، وأصل الحكمة مايمتنع به من السفه ، فقيل للعلم حكمة لأنه يمتنع به من السفه ، وبه يعلم الامتناع من السفه الذي هو كل فعل قبيح[32]

- حكم أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله:

الحكمة في الدعوة إلى الله واجبةٌ على من تجب عليه الدعوة، وكذلك تجب على من كانت الدعوة في حقه مندوبة إذا قام بالمندوب وكان عدم التصرف منه بحكمةٍ سيؤدي إلى محظور.

واجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيماناً عاماً مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخلٌ في تبليغ ما بعث الله به رسوله، وداخلٌ في تدبر القرآن وعقله وفهمه وعلم الكتاب والحكمة، وحفظ الذكر والدعاء إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجبٌ على الكفاية منهم .

ونأخذ الوجوب من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [33]﴾ .

فالأمر للوجوب، وهو للنبي – صلى الله عليه وسلم- وأتباعه من الدعاة الراشدين، – –: «والتخلق بهذه الآية هو أن كل من يقوم مقاماً من مقامات الرسول –صلى الله عليه

---

٣١ : مفهوم الحكمة في القرآن والسنة في المصادر التالية : ١ : جامع القرآن ج ١ ص ٤٣٦ ، ٢ : تفسير غرائب القرآن للنيسابوري ج ١ ص ٤١٣ ، ٣ : تفسير البغوي ج١ ص٢٥٦ ، ٤: تفسير ابن كثير ج١ ص١٨٤ ، ٥: فتح القدير للشوكاني ج ١ ص٢٨٩ ، ٦: تعارض العقل والنقل لإبن تيمية ج٦ ص٦٦ ـــــــ٦٧ ، ٧: وفتاوي شيخ الإسلام بن تيمية ج١٩ ص١٧٠ ، ٨: مدارج السالكين لإبن القيم ج٢ ص٤٧٨ ، ٩: فتح الباري لإبن حجر العسقلاني ج١ ص٦٧ ـــ ٧٠ ، ١٠: شرح النووي علي صحيح مسلم ج٢ ص ٧ ـــــ٣٣

٣٢ : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣ ص٣٣٠

٣٣ : سورة النحل الآية ١٢

وسلم- في إرشاد المسلمين أو سياستهم يجب عليه أن يكون سالكاً للطرائق الثلاث: الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن وإلا كان منصرفا عن الآداب الإسلامية وغير خليق بما هو فيه من سياسة الأمة، و يخشى أن يعرض مصالح الأمة للتلف، فإصلاح الأمة يتطلب إبلاغ الحق إليها بهذه الوسائل الثلاث، والمجتمع الإسلامي لا يخلوا عن متعنتٍ أو ملبسٍ، وكلاهما يلقي في طريق المصلحين شوك الشبه بقصد أو بغير قصد .

أركان الحكمة وآفاقها:

أهمية أسلوب الحكمة في الدعوة إلى الله:

وقد أشار الله إلى الحكمة في كتابه العزيز، فذكر أن ما يعتمد عليه المؤمن في دعوته إلى الله هو الكتاب والسنة النبوية، وقد سمى الله السنة في كتابه العزيز بالحكمة فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ [٣٤]﴾، وما أنزله الله من الحكمة إنما هو للوعظ والتذكير والتعليم، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [٣٥])وقال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً [٣٦]﴾ ومن لم يدعو إلى الله بالحكمة فليس من عداد الدعاة الفائزين.

وهذه الحكمة نعمةٌ من الله من أوتيها فقد أوتي خيراً كثيراً، قال تعالى: ﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ [٣٧]

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري- رحمه الله-: يعني بذلك جل ثناؤه يؤتي الله الإصابة في القول والفعل من يشاء من عباده ومن يؤت الإصابة في ذلك منهم فقد أوتي خيرا كثيرا [٣٨]

---

[٣٤]: سورة البقرة الآية ١٢٩

[٣٥] :سورة البقرة ١٢٣١

[٣٦] : سورة الأحزاب ٣٤

[٣٧] : سورة البقرة ٢٦٩

[٣٨] : جامع القرآن للطبري ج١ص٤٣٧

والحكمة في الدعوة إلى الله هي سجية الأنبياء والمرسلين في دعوتهم إلى الله رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿ولقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ [٣٩] وقال تعالي : ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً) [٤٠]

أي: من جنسه أو بعضٍ منه، وسمي حكمة؛ لأنه كلامٌ محكمٌ، وهو ما علمه من الشرائع أو من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها الفساد، وعند الحكماء أن الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته .

---

٣٩ : سورة النساء الآية ٥٤

٤٠ : سورة الإسراء الآية ٣٩

المبحث الثالث : أسلوب الموعظة :

أسلوب الموعظة الحسنة

الموعظة في اللغة مشتقة من الفعل عظة يعظه وعظاً وعظة أي ذكره ونصحه، وأمره بالطاعة ووصاه بها . [٤١]

والموعظة في الاصطلاح: هي مجموعة الأقوال والأفعال اللينة، واللطيفة المباشرة وغير المباشرة والتي يخاطب بها القلب وتؤثر على المدعوين.

أولاً: أنواع الموعظة:

تنقسم الموعظة إلى قسمين:

١- الموعظة الحسنة:

وهي التي عنيناها في التعريف السابق، أي أنها مجموعة الأقوال والأفعال اللينة واللطيفة. وسميت حسنة لأن الكلام المستخدم فيها، والأقوال المصاحبة لها تتصف بأنها حسنة. لذا سُميت بالموعظة الحسنة. وهي التي أمرنا بأن ندعو بها وهذا ما أشار إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [٤٢]

٢- الموعظة السيئة:

وهي عكس النوع الأول فهي مجموعة الأقوال والأفعال الفظة الغليظة وسُميت سيئة لأن الطريقة التي قدمت بها توصف بأنها سيئة تؤدي إلى نفور الناس عن الداعي ولعل ذلك يتضح لنا من خلال قوله سبحانه وتعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }[٤٣] فالله جل جلاله وضح للنبي صلي الله عليه وسلم أن اللين والرقة تؤدي إلى محبة المدعوين والتفافهم حوله. وهذا ما تمثله الموعظة الحسنة. وأرشده الله إلى الابتعاد عن الفظاظة والغلظة والتي تُعد موعظة سيئة.

عليه يجب الابتعاد عن الموعظة السيئة في الدعوة والتركيز فقط على الموعظة الحسنة.

ثانياً: أهمية الموعظة الحسنة:

---

٤١ : لسان العرب لإبن منظور مادة :وعظ ج١ص٧٥٣

٤٢ : سورة النحل الآية ١٢٥

٤٣ : سورة آل عمران الآية ١٥٩

تظهر أهمية الموعظة الحسنة من عدة أمور أبرزها:

١- أمر الله لنا باستخدامها في الدعوة:

تجلى ذلك في قوله سبحانه وتعالى: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [٤٤]وقال جل شأنه:} فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } وقال سبحانه وتعالى: {وقولوا للناس حسناً } [٤٥] وقال جل شأنه:{وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } [٤٦]

ومعلوم أن الشارع سبحانه وتعالى لا يأمر إلا بما فيه الخير وصلاح الناس، وعندما يوجه رسله وعباده ويأمرهم بأن يستعملوا أسلوباً بعينه- كما هو الحال في أسلوب الموعظة- فإن ذلك يدل على أهمية ذلك الأسلوب ومن هنا تتجلى لنا أهمية الموعظة الحسنة.

٢- كونها من الأساليب التي يستخدمها الأنبياء في الدعوة كما أشار إلى ذلك قوله سبحانه وتعالى: (وَأَنصَحُ لَكُمْ) [٤٧] وكان ذلك على لسان نوح عليه السلام. وجاء على لسان هود عليه السلام. قوله جل جلاله: (وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ) [٤٨] ومعلوم أن أساليب الأنبياء هي وحي من الله لهم ونحن مأمورين بالناس بهم وأخذ الأساليب عنهم بنص القرآن (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) [٤٩] ومن هنا تظهر لنا أهمية أسلوب الموعظة الحسنة والتي كسبت هذه الأهمية من استعمال الأنبياء لها في الدعوة إلى الله.

٣- مبايعة الرسول صلي الله عليه وسلم صحابة عليها: جاء في الحديث بايعت رسول الله صلي الله عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم[٥٠]شاهد من هذا الحديث قوله: (والنصح لكل مسلم) والنصح شكل من أشكال

---

٤٤ :سورة النحل الآية ١٢٥

٤٥ :سورة البقرة الآية ٨٣

٤٦ : سورة النساء الآية ٦٣

٤٧ : سورة الأعراف الآية ٦٣

٤٨ : سورة الأعراف الآية ٦٨

٤٩ سورة الزمر الآية ١٨

٥٠ :متفق عليه

الموعظة الحسنة. ولو لم تكن الموعظة على درجة من الأهمية لما بايع الرسول صلي الله عليه وسلم الصحابة عليها .

٤- سهولة استخدامها في كل الأحوال: تظهر أهمية الموعظة الحسنة في كونها سهلة الاستخدام في جميع أحوال الدعوة قوة وضعفاً ضموراً وظهوراً سراً أو جهراً. وأسلوب بهذه السهولة واليسر في الاستخدام في جميع الأحوال جدير بأن يكون مهماً في مجال الدعوة إلى الله.

٥- جعلها الرسول صلي الله عليه وسلم هي أساس الدين: وذلك من خلال قوله: (الدين النصيحة) [٥١] والنصيحة كما أسلفنا شكل من أشكال الموعظة الحسنة. فإذا كانت النصيحة- التي هي شكل من أشكال الموعظة الحسنة – ذات أهمية كبرى وقصوى لما قال المعصوم عنها أنها هي الدين حين قال: (الدين النصيحة)

٦- حاجة الكل إليها: تكتسب الموعظة الحسنة أهميتها من كونها أسلوب يحتاجه جميع أفراد وطوائف المجتمع على اختلاف أعمارهم، وأحوالهم، ومستوياتهم فمن حيث الأعمار فالأطفال يحتاجونها وتستخدم معهم وكذلك الشباب والكهول. كما أنه يمكن استخدامها في جميع الأحوال من فرح وحزن، وحرب وسلم، وأمن وخوف. ويمكن استخدامها مع الأمراء والخفراء، ومع العلماء والأميين ومن هنا تكتسب الموعظة الحسنة أهميتها وتعتلي منزلتها السامية والسامقة بين أساليب الدعوة إلى الله.

ثالثاً: خصائص أسلوب الموعظة الحسنة:

لا ريب أن هناك خصائص وسمات تميز أسلوب الموعظة الحسنة عن غيره من الأساليب الدعوية الأخرى ويمكن إبرازها في الآتي:

١- لين العبارة المستخدمة ولطفها.

إن أبرز ما يميز الموعظة الحسنة من خصائص لين ولطف العبارة والتي بدورها تؤثر إيجاباً على القلب المدعو وتعمل على استمالته بفعل المعروف، وترك المنكر، لأن أي كلمة لينة لطيفة لابد وان تترك أثراً لدى سماعها.

٢- لين الفعل والتصرف:

---

٥١ : أخرجه مسلم

سبق وأن أشرنا في التعريف إلى أن الموعظة هي مجموعة الأقوال والأفعال اللينة. فأي فعل يراد به الموعظة من إشارة، أو إيماءة أو إيحاءه ونحوها لا بد وان يتميز باللين واللطف لذا يعد لين الفعل والتصرف من خصائص الموعظة الحسنة.

٣- تنوع وتعدد أشكال الموعظة:

إن من أبرز ما يذكر في جانب خصائص الموعظة الحسنة أنها لا تأخذ شكلاً واحداً ، أو نمطا محدداً. بل تأتي بعدة أشكال سنفرد لها مطلباً خاصاً بها.

٤- لا تحتاج إلى كثرة علم:

يلاحظ أن الموعظة الحسن لا تحتاج إلى كثير علم فيمكن للإنسان أن يعظ الآخرين ويذكرهم ولو بشيء قليل من العلم، ولو بآية أو حديث.

رابعاً: أشكال الموعظة الحسنة:

يمكن للداعية أن يعظ الناس بأشكال متعددة، ويقدم لهم النصح في قوالب متنوعة، وكثيرة، ولكنا في هذه العاجلة سوف نحاول أن نركز على أبرز تلك الأشكال.

١- القول الصريح اللين:

نعني به تلك الكلمات، والعبارات التي يوجهها الداعية للمدعوين بصراحة ووضوح مبيناً فيها ما يجب عليهم فعله من الأوامر، ومال يجب تركه من النواهي. أو ينبههم إلى قصور في أقوالهم، وأفعالهم، أو يحذرهم من خطورة مخالفاتهم ومعاصيهم.

٢- الإشارة اللطيفة المفهومة:

نقصد بها تلك الحركة التي يصدرها الداعية للمدعو إذا رأى مخالفة، أو قصوراً، أو تصرفاً لا يتفق والشرع فله في هذه الحالة أن يقدر الموقف فإذا علم أن المدعو في هذه الحالة لا يحتاج إلى قول صريح ويمكن أن ترده إشارة فقط. فيمكن له في هذه الحالة أن يستخدم الإشارة المناسبة سواء كان ذلك بيده، أو إصبعه، أو بهز كتفيه، أو تحريك رأسه، أو وضع إصبعه على فهمه، في إشارة إلى الصمت، أو بالعض على بنانه. إلى غير من الإشارات المفهومة.

٣- القصة:

يمكن أن تأخذ الموعظة شكل القصة، وينبغي في هذه الحالة أن يكون محتوى القصة ومضمونها مطابقاً لحال ووضع المدعوين.فيجب أن تعالج القصة المشكلات التي يعاني منها الجمهور المدعو، أو فيها من العبر والدروس ما يمكن أن يردع المخالفين والمنحرفين مخافة إلا يكون مصيرهم ومآلهم مثل ما جرى لأهل القصة التي يقصها الداعية. ومعلوم أن أنسب جمهور يمكن أن توجه إليه الموعظة في شكل قصة هم الأميين والأطفال والنساء لأنهم غالباً ما يتأثرون وينفعلون بالقصة وعادة ما تكون النتائج إيجابية.

٤- الخطبة المؤثرة:

تُعد الخطبة من أبرز أشكال الموعظة الحسنة فيمكن للداعية أن يقدم الموعظة من خلال الخطبة، ولا تنحصر الخطبة هنا في خطبة الجمعة فقط بل يمكن أن تقدم الموعظة من خلال خطبة العيدين، والكسوف، والخسوف، وخطبة الاستسقاء وخطبة النكاح، والخطبة الجهادية وغيرها من أنواع الخطب.

٥- التذكير بنعم الله:

إن التذكير بنعم الله تعالى من أهم أشكال الموعظة الحسنة وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم: (اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي)[٥٢]

وقال جل شأنه: (اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [٥٣]، ومعلوم أن الله سبحانه تعالى عندما يذكرنا بنعمة يتطلب ذلك منا الشكر وقمة الشكر التقيد بأمره والتزامه والابتعاد عن نهية إلى جانب تسخير تلك النعم في طاعته وحسن خلافة الكون.

كما أن الأنبياء كانوا يذكرون قومهم بنعم الله عليهم قال تعالى:(يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) [٥٤]، وقال سبحانه وتعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ) [٥٥]

---

٥٢ : سورة البقرة الآية ٤٠

٥٣ : سورة البقرة الآية٤٧

٥٤ : سورة البقرة الآية ٤٧

٥٥ : سورة المائدة الآية ٢٠

عليه يُعد التذكير بنعم الله شكلاً آخر من أشكال الموعظة الحسنة، ولكن لا بد أن يكون التذكير بنعم الله مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالموضوع، أو المشكلة، أو المخالفة، أو المعصية المراد وعظ الناس من أجلها. فإذا كانت فاحشة مثلاً نذكر الناس بنعمة العافية والصحة، وإذا كانت المخالفة تبذيراً مثلاً نذكرهم بنعمة الرزق التي يجب شكرها ونبين أن من مستلزمات شكرها البعد عن التبذير وهكذا.

٦- الترغيب والترهيب:

نقصد به ترغيب الناس في فعل الخيرات، وترهيب الناس من فعل المنكر. وذلك بما أعده الله للمحسنين من ثواب وما أدخره للعصاة من عقاب دنيوي وأخروي ومجال الترغيب واسع. ومن أنماط الترغيب الدنيوي قوله تعالى:) وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [٥٦]فالترغيب هنا واضح فإذا آمن الناس واتقوا فسوف تأتيهم البركات من فوقهم ومن تحتهم. وكذلك الترهيب ودنيوي وأخروي من أنماط الدنيوي قوله تعالى:(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا) [٥٧]

أما أنماط الترغيب والترهيب الأخرى فهي كثيرة جداً فكل ذكر للجنة وما فيها من نعيم فهو ترغيب. وكل ذكر للنار وما فيها من جحيم فهو ترهيب. وكل ذكر للرحمة والحلم والمغفرة فهو ترغيب، وكل ذكر للعذاب، والغضب واللعن فهو ترهيب. و كل ذلك مذكور بكثرة سواء كان ذلك في آيات الذكر الحكيم أو في نصوص السنة المطهرة.

ولكن يبقى هناك أمر لا بد من ذكره والإشارة إليه وهو مراعاة التوسط في الترغيب والترهيب فلا نغالي في الترغيب فيتكل الناس ولا نبالغ في الترهيب فييأس الناس فلابد من التوسط. كما لابد من الممازجة بينهما فذكر الترغيب مصحوباً بالترهيب فيجمع بين الرجاء والخوف.

وإذا تأملنا آيات الذكر الحكيم ونصوص السنة المطهرة لرأينا ذلك فما ذكرت الرحمة إلا وجاء بعدها الشدة والقسوة.وما يذكر الغضب وإلا جاء العفو والصفح، وما ذكرت

---

٥٦ :سورة الأعراف الآية ٩٦

٥٧ :سورة طه الآية ١٢٤

العذاب وإلا ذكر بعده المغفرة، وما ذكرت الجنة وما فيها من نعيم وإلا ذكرت النار وما فيها من جحيم، وهكذا. ومن هنا تأتي ضرورة التمازج بينهما. ولا نذكر أحدهما إلا أعقبناهُ بالآخر.

المبحث الرابع : أسلوب المجادلة :

تعريف المجادلة لغة واصطلاحا :

الجدال لغة :

مصدر قولهم : جادلهم جادله يجادله جدالا ومجادله ، وهو مأخوذ من مادة (ج د ل) التي تدل على استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام وهو القياس الذي ذكرناه [٥٨]

والجدال اصطلاحا :

الجدلُ : دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة ، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة ، والجدال : عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها [٥٩]

والمجادلة :ـــــــــــــ

هي المنازعة في المسألة العلمية لإلزام الخصم سواء كان كلامه فاسدا أو لا [٦٠]

وحكم الجدال :

الجدال قد يكون محمودا إذا تعلّق بإظهار الحق وقد أُمر بذلك النبي صلي الله عليه وسلم في قوله تعالى (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) النحل ١٢٥، وقد يكون مذموما إذا شغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب ، وهذا هو المقصود بقوله: صلي الله عليه وسلم " ما أُوتي الجدل قومٌ إلا ضلوا " ، وقد عد الذهبي هذا النوع من الكبائر ، وقال : إن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودا وإن كان بغير علم كان مذموما ، وعلى هذا التفصيل تنزّل النصوص الواردة في إباحته وذمّه. [٦١] و أن الجدال منه ما هو محمود إذا كان يدعوا إلى الحق ويعرّف به ، ومنه ما هو مذموم وهو ما لا هدف له و لم يسلم أسلوبه ، ولذا جاء الأمر به في القران مقيدا بالتي هي أحسن .

وأن المجادلة : هي النصيحة في الدين، أن تنصح لأحد فتبين له وجه الدليل، وتفهمه ما لم يفهمه إذا كنت فقيه، وأن يكون ذلك على مقتضى الكتاب والسنة، وأن يكون ذلك

---

٥٨ :معجم مقاييس اللغة لإبن فارس ص ١٨٩

٥٩ : التعريفات للجرجاني ص ٧٤ ـــــ٥٧

٦٠ : الكليات ت ص ٣٥٣ ـــــــ٤٤٩

٦١ : موسوعة نضرة النعيم ج ٩ ص ٤٣٣٨

بقصد حسن أن تقصد الحق قصد الحق، أن تتجرد من الهوى ومن الرأي أن تتمثل قاعدة الإمام الشافعي – رحمه الله – وهي قاعدة ذهبية عظيمة هي مقتضى الكتاب والسنة يقول : "والله ما جادلت أحدا إلا تمنيت أن يجرى الله الحق على لسانه " .

أقسم أنه تمنى أن يجري الله الحق على لسان خصمه لماذا؟ لأنه طالب حق يتمنى أن ينقذه الله من رأي خاطئ أو اجتهاد خاطئ .

وهكذا يجب أن تكون المجادلة، تكون بالكتاب والسنة بقصد الحق التجرد من الهوى والتسليم والإذعان للدليل، إذا قال خصمك: قال الله عز وجل ، وفهمت قول الله وعرفت أنه حجة في هذا الباب فتتوقف وتقول آمنا بالله، وإذا قال عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وجاءك الدليل وأنه حجة، تقول: قول رسول الله صلي الله عليه وسلم : في قلبي وبصري وسمعي لا أحيد عنه، تترسم ذلك قبل النقاش قبل المجادلة، أيضا عدم التعصب أيا كان .

وردت مادة الجدال في كتاب الله تعالى في تسعة وعشرين موضعا ، كلها جاءت بالمعنى المذموم إلا في أربعة مواضع [٦٢]:

١. قال تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[٦٣] .

قال القرطبي رحمه الله : فيه مسألة واحدة : هذه الآية نزلت بمكة في وقت الأمر بمهادنة قريش وأمره أن يدعو إلى دين الله تعالى وشرعه بتلطف ولين دون مخشنة وتعنيف وهكذا ينبغي أن يُوعظ المسلمون إلى يوم القيامة ، فهي محكمة في جهة العصاة من الموحدين ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين ، وقد قيل : إن من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورُجي إيمانه بها دون قتال ، فهي محكمة والله أعلم [٦٤]

قال الشيخ الشنقيطي – صاحب أضواء البيان – رحمه الله : في قوله تعالى (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ) ؛ أمر الله جل وعلا نبيه صلي الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة

---

٦٢ : كيف تحاور دليل عملي للحوار للدكتور : طارق الحبيب ص ٩

٦٣ :سورة النحل ١٢٥ الآية

٦٤ : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٢ ص ٤٦١

أن يجادل خصومه بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة من إيضاح الحق بالرفق واللين ، وعن مجاهد : (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [٦٥] قال : أعرض عن أذاهم [٦٦]

وقال الشيخ محمد السعدي رحمه الله : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[٦٧]

أي ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح (بِالْحِكْمَةِ) أي كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبذاءة بالأهم فالأهم وبالأقرب إلى الأذهان والفهم وبما يكون قبوله أتم وبالرفق واللين فإن انقاد بالحكمة وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب [٦٨]

٢. قال تعالى : (وَلا تُجَادِلُوا أَهلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ).[٦٩]

قال القرطبي رحمه الله تعالى : اختلف العلماء في قوله تعالى (وَلا تُجَادِلُوا أَهلَ الْكِتَابِ) فقال مجاهد : هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم إلى الله تعالى ، والتنبيه على حججه وآياته ؛ رجاء إجابتهم إلى الإيمان لا على طريق الإغلاظ والمخشنة ، وقوله تعالى (إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) معناه ظلموكم وإلا فكلهم ظلمة على الإطلاق ، وقيل المعنى : لا تجادلوا من آمن بمحمد صلي الله عليه وسلم من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله بن سلام ومن آمن معه (إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ) أي : بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائل وغير ذلك [٧٠]

قال السعدي رحمه الله : ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب إذا كانت من غير بصيرة من المجادل ، أو بغير قاعدة مرضية ، وأن لا يجادلوا إلا بالتي هي أحسن ، بحسن خلق وتلطف

---

٦٥ : سورة النحل الآية١٢٥

٦٦ : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي ج ٢ ص ٢٠٦

٦٧ : سورة النحل ١٢٥ الآية

٦٨ر: تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٤٢٥

٦٩ : العنكبوت ٤٦

٧٠ : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١٦ ص ٣٧١

ولين كلام ودعوة إلى الحق وتحسينه ، ورد عن الباطل وتهجينه بأقرب طريق موصل لذلك ، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحب العلو ، بل يكون القصد بيان الحق وهداية الخلق ، إلا من ظلم من أهل الكتاب ، بأن ظهر من قصده وحاله أنه لا إرادة له في الحق وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة ، فهذا لا فائدة في جداله ، لأن المقصود منها ضائع [٧١]

٣. قال تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ).[٧٢]

٤. قال تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) . [٧٣]

فالجدال إذن لم يؤمر به و لم يمدح في القرآن على الإطلاق ، بل جاء مقيدا بلفظ (الحسنى).

ومن الأحاديث النبوية الواردة في ذم الجدل (المذموم) :نذكر منها :

الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: {ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم }[٧٤].

وخلاصة القول إن كل جدل حوار وليس كل حوار جدلا ، لكن ربما تحول الحوار إلى جدل ، وقد يجتمعان كما في صدر سور المجادلة .

تظهر أهمية أسلوب الجدل في الدعوة إلى الله تعالى في عدة أمور ، منها :

١.: (الجدل) أمر فطري جُبل عليه الإنسان ، يصدر من الصالح والطالح والكبير والصغير والرجل والمرأة قال تعالى : (وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً).[٧٥]

---

[٧١] : تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان للسعدي ص ٦٣٢

[٧٢] :سورة هود الآية ٧٤ ـــــ٧٥

[٧٣] : سورة المجادلة الآية ١

[٧٤] : رواه الإمام البخاري ج٣ ص٢٣٢

٧٥ : سورة الكهف الآية ٥٤

وقال عن المؤمنين معاتبا : (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ). [٧٦] وقال : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ). [٧٧] والأمور الفطرية لابد للداعية من ملاحظتها ومراعاتها في دعوته .

٢.: أمر الله تعالى باستخدامه فقال : (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ) . [٧٨] وقال تعالى : (وَلا تُجَادِلُوا أَهلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ).[٧٩]

٣ : استخدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للجدل في دعوتهم ، قال تعالى : (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ). [٨٠]

وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ). [٨١]

وقال تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ).[٨٢]

٤: اهتمام الدعاة به من زمن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا ، وما نقل عن بعض السلف من ذم الجدل فهو محمول على الجدل المذموم ، أو الجدال في القرآن الكريم وآياته البينات [٨٣] .

لأسلوب الجدل خصائص ومزايا عديدة منها :

١.: اعتماده على العلم والمعرفة ، فلا يصح الجدال من غير علم ، وقد أنكر القرآن الكريم على الذين يجادلون بغير علم ، فقال : (يَا أَهلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ).[٨٤]

---

٧٦ : سورة الأنفال الآية ٦

٧٧ : سورة المجادلة الآية ١

٧٨ : سورة النحل الآية ١٢٥

٧٩ : سورة العنكبوت الآية ٤٦

٨٠ : سورة هود الآية٣٢

٨١ : سورة البقرة الآية ٢٥٨

٨٢ : سورة الأنعام الآية ٢٥

٨٣ : المدخل إلي علم الدعوة لمؤلفه أبو الفتح البيانو ني ص٢٦٧

٨٤ : آل عمران ٦٥ ـــــ ٦٦

٢.: إقامة الحجة على الخصم وإفحامه ، فالأصل في أسلوب الجدل أن يقيم الحجة الواضحة ، ولا يترك حجة يتمسك بها ، أو شبهة يستدل بها على باطله ، قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنْ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنْ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ). [٨٥]

تنوع بواعثه ودوافعه تنوعا كبيرا ، فمنها :

بواعث نفسية : كالقناعة الشديدة بفكرة ما .

ب: بواعث علمية : كالاستفادة والسؤال عما يجهل ومناقشة الأدلة والترجيح بينها أو دفع الشبهات المثارة حول موضوع من الموضوعات .

ج :بواعث اجتماعية : كالتحمس والتعصب لقوم أو رأي أو مذهب أو للتمسك بما كان عليه الآباء والأجداد وما إلى ذلك .

وهذا التنوع في البواعث يجعل من مهمة الداعية التعرف عليها ليعلم كيف يتعامل مع أصحابها [٨٦]

هكذا يجب أن تكون المجادلة بالكتاب والسنة، وبقصد الحق والتجرد من الهوى، والتسليم والإذعان للدليل، فإذا قال خصمك: قال الله عز وجل وفهمت قول الله وعرفت أنه حجة في هذا الباب فتتوقف وتقول: آمنا بالله، وإذا قال عن رسول الله صلي الله عليه وسلم وجاءك الدليل وفهمته وأنه حجة في هذا الأمر فتقول: على العين والرأس، مكان قول رسول الله صلي الله عليه وسلم في قلبي وبصري وسمعي لا أحيد عنه. والشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالي استخدم في دعوته للناس جميع الأساليب الدعوية التي وردت في كتاب الله تعالي وفي سنة الرسول صلي الله عليه وسلم .وأستخدم الشيخ الغزالي في دعوته أسلوب الموعظة في خطبة العيد وغيرها ، وأستخدم كذلك في دعوته أسلوب الحكمة ، وأسلوب الجدال ، وأنا لم أذكر أساليب الشيخ محمد الغزالي في الحكمة ، والموعظة ، والجدال خشية الإطالة ، ولأن الزمن المحدد لنا للبحث فترته قصيرة جدا .

---

[٨٥] : سورة البقرة الآية ٢٥٨

[٨٦] : المدخل إلي علم الدعوة لمؤلفه محمد أبو الفتح البيانو ني ص ٢٦٥

الفصل الثالث

تمييز أساليب الشيخ محمد الغزالي وجهوده لنشر الدعوة :

وفيه مباحث :-

المبحث الأول : الأساليب التي انتهجها في دعوته .

المبحث الثاني : فكره وأساليبه في تربية الإناث .

المبحث الثالث : الداعية الناجح في الأساليب عند الشيخ محمد الغزالي .

المبحث الرابع : مكانة القرآن الكريم عند الشيخ محمد الغزالي .

المبحث الخامس : أساليب الدعوة في زمن العولمة عند الشيخ محمد الغزالي .

المبحث الأول : الأساليب التي انتهجها في دعوته :

إن الحديث عن تجربة الشيخ محمد الغزالي الواسعة في مجال الدعوة وأساليبها: أمرقد تستوعبه أكثر من دراسة علمية متخصصة ولا يكفي في حصر أساليب الشيخ رحمه الله هذا البحث المتواضع ، وأذكر بعض خصائص الأسلوب عند الشيخ رحمه الله التي ميزت طريقته في التعبير عن قضايا الفكر الإسلامي المختلفة ، وجعلت كتاباته لها مذاق خاص ، وطابع فريد بين كتابات الدعاة في هذا العصر الحديث ، إن مما تنبغي الإشارة إليه أن الشيخ رحمه الله تعالي كان متأثرا تأثيرا كبيرا بأسلوب القرآن الكريم فقد كان يتلوه آناء الليل وأطراف النهار،وكان يتحري دائما طرقه في دعوة الناس ، ولقد كان ذلك سر جمال أسلوبه ، ولطافت تعبيره ، ومن الخصائص الأساسية المميزة لأسلوبه مايلي :ـــــــ

١: الأسلوب الأدبي : هو الأسلوب المفضل في كتابات الشيخ محمد الغزالي رحمه الله ، فهو يفضل عرض الأفكار بلغة أدبية مؤثرة ، فيها عناصر الإقناع والإمتاع ، ويسير علي هذه الطريقة في جل مايكتب ، ولا يستخدم الطريق السردية المباشرة إلا نادرا ، وذلك لشد عقول القراء وقلوبهم إلي الأفكار التي ينوي غرسها في النفوس .

٢: يتميز أسلوبه بكثرة استخدام الصور الفنية ، والأمثال المحسوسة ذلك لتقريب الأفكار إلي النفوس وعرضها في قوالب حية قريبة التناول ، وواضح أن الشيخ محمد الغزالي رحمه الله قد استمد هذه الطريقة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة .

٣: يمتاز أسلوبه أيضا بالتنويع المشوق ، فهو يلون حديثه ويكثر من الأساليب التي لها قدرة علي التأثير كالاستفهام والتوكيد والتعجب ، ويستخدم القصة استخداما جيدا ، وكثيرا مايتمثل بحوادث من الواقع ، لتكون أبلغ في التأثير ، وأكثر التصاقا بالقضايا المثارة في هذا العصر .

٤: من أساليبه استخدام فقه الأولويات والاهتمام به .

٥: ومن أساليبه استخدام الترادفات ، أي أداء المعني الواحد بأساليب متعددة بهدف تأكيد المعني وترسيخه ، كما أنه يزيد من امتداد جاذبية الأسلوب [٨٧] .

٦: ومن أساليبه : تجسيم المعنويات أي إبراز المعنوي في صورة حسية [٨٨]

---

[٨٧] : الغزو الثقافي يمتد في فراغنا للشيخ محمد الغزالي ص ٦٩

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله :

ومن ثم فإن الداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي إلى الحق بعمله وإن لم ينطق بكلمة، لأنه مثلٌ حيٌّ متحرك للمبادئ التي يعتنقها.

وقد شكا الناس في القديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيئون الفعل!!

والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء يجب أن تسبقها شكوى الأديان والمذاهب منهم، لأن تناقض فعلهم وقولهم أخطر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم.

ولا يكفي ـــ لكي يكون المرء قدوة ـــ أن يتظاهر بالصالحات أو يتجمل للأعين الباحثة، فإن التزوير لا يصلح في ذلك الميدان، ولابد أن ينكشف المخبوء على طول المعاملة وامتداد الزمن وتمحيص الأحداث.

وسرعان ما يبدو معدن النفس على الحقيقة العارية...

ذلك أن النفس المتحركة بروح الإيمان كالآلة الدائرة بما يعمر خزانها من وقود، أما النفس المحرومة من هذا الروح فهي كالآلة التي تدفع باليد حيناً ثم لا يلبث أن يغلبها العطل والعطب فتتوقف وتسكن...

والمصيبة الطامّة أن بعض المنافقين يحسبون أن تمثيل دور الإيمان لا يحتاج إلا إلى شيء من التكلف والمصانعة، كما أن بعض المتهاونين يحسبون أن لباس التقوى يمكن نسجه بشيء من إدمان الرسوم وإتقان الهمهمة.

وهذا ضلال بعيد فالأمر أخطر ممّا يظنون.

إنّ التديُّن الحقيقي صورة لجوهر النفس بعدما استكانت لله تعالى ونزلت على أمره، واصطبغت بالفضائل التي شرعها، وترفعت عن الرذائل التي حرمها، واستقامت على ذلك استقامة تامة.

هذا التدين وحده هو الذي تلتمس منه الأسوة ويقتبس منه الهدى، ويؤسفني أن أقول: إن هذا الضرب من التدين العالي نادر الآن، وأن أشعة الكمال المنبعثة من وهجه لا تكاد ترى.

---

[٨٨] : جدد حياتك للشيخ محمد الغزالي ص ١٣٤

بل إن نفراً من الناس الذين لا ينميهم دين أقرب إلى المسلك الصحيح، وأجدر بالقوامة على شتى الوظائف من آخرين انتسبوا إلى الدين، وحملوا عنوانه دون اصطباغ به وتشرب لروحه...!

وعندما ينكب الدين بأقوام كثيرين على هذا الغرر ، فالمجال واسع لشيوع الإلحاد وانتشار المعصية والعدوان.

قال لي صديق: إنّ فلاناً (الأوروبي) إذا وكلت إليه مهمة خرجت من بين يديه متقنة الأداء ظاهرة الجودة، أما فلان الذي يكثر الصلاة فقلما يريحني في إحسان عمل أو أداء واجب...!

لقد جزعت لهذه المقابلة بين الشخصين، ولم يسوؤني منها أنها باطل ــ إذ هي أحياناً حق ــ وإنما ساءني منها أن ذلك (المتدين الكسول) دعاية شنيعة ضد الصلاة، إنها القدوة الرديئة تعمل عملها ضد المثل الرفيعة والمبادئ الفاضلة...!

وقد لاحظت أن الأجنبي ــ في أغلب الأحيان ــ يرى خدشاً لكرامته، وطعناً في كيانه أن يصدر العمل عنه ناقصاً، فهو يجوده احتراماً لنفسه، وصيانة لشخصه.

على حين تجد مواطناً ينتمي إلى الدين ــ كما يزعم ــ ثم هو يقوم بالعمل على أسوأ الوجوه، ويبسط لسانه بالجدل الطويل في تسويفه وإقناع الآخرين بقبوله...![٨٩]

ولعلنا لم ننس قصة المهندس الذي أشرف على بناء جسر السلطان أبي العلاء، وكان أجنبياً، فإنه لما رأى عمله لم يصل إلى درجة الكمال التي ينشدها، رمى بنفسه من فوق الجسر العالي، فهوى بين أمواج النيل، وكاد اليم يبتلعه لولا إسعاف المنقذين.

لقد أحس غضاضة من أن يعيش بعدما فشل في إحسان العمل الذي كلف به...

وإنما أثبت هذه القصة لأني أعرف أناساً مثله، وقعوا في شر من تفريطه وخرج العمل من بين أيديهم مبتوراً مشوهاً، فلما عوتبوا شرع كل منهم يتنصل ويعتذر أو يهز كتفيه ملقياً التبعة على غيره...

ولعله بعد ذلك جلس إلى مكتبه يجرع القهوة في كبرياء!

أيصلح هؤلاء أمثلة للإسلام؟؟

---

[٨٩] مقالات الشيخ محمد الغزالي ص ٣٨

قل لي بالله: كيف يهوي سلوك الفرد منا إلى هذا الحد ثم ينتظر أن يحترم الناس الإسلام ويُقبِلوا عليه؟

إن الدعوة إلى الإسلام تكون أولاً بعرض ثماره في الأخلاق والأحوال، أعني: ثماره في أتباعه المؤمنين به، ويومئذ ترجى الإجابة، ويرتقب الاهتداء.

ولنعد إلى أسباب انتشار الإسلام أيام السلف الصالحين...

إن (خلق) الدولة، وصلاح أنظمتها وكفالتها أكبر حظ من العدالة والسعادة للأفراد، كان الباعث الأعظم على دخول الناس في دين الله أفواجاً، وقبولهم عن طيب خاطر الانضواء تحت راية الإسلام.

بل غبطتهم لأن دائرة هذا الدين بلغت من الرحابة حداً جعلتهم يأوون إليها وهم وافرون أعزاء...

حتى أيام اضطراب أجهزة الحكم في الدولة الإسلامية وقصورها، عن التحليق مع المثل الرفيعة التي نشدها الإسلام في اختيار الحكام.

إن هذا القصور لم يقدح في مدى الخير الذي يحرزه الناس تحت علم الدولة الجديدة!! ذلك أنه أعلى درجة ألف مرة من الخير الذي رأوه في ظل أكاسرة فارس وقياصرة روم.[٩٠]

وحين نتابع أوصاف المسلمين الفاتحين ـــ كما شرحها بعض المنصفين من المستشرقين ـــ نجد أن الجماهير رمقت حملة العقيدة الظافرة بشيء من الدهشة، ورأت فيهم نماذج خلابة للفضل والعدل، فلم يمكثوا غير قليل حتى زاحموهم عليها!!

أجل: زاحموهم عليها، ونافسوهم فيها، واعتنقوها ليعملوا بها مثل أو أجل من أصحابها الذين نقلوها، مصداق قول الرسول الكريم: (رب مبلغ أوعى من سامع) (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه).

الإعجاب بالإسلام في أحوال الفرد. والإعجاب بالإسلام في أحوال الدولة، هو وحده السبب الفعّال في تزاحم الخاصّة والعامّة على هذا الإسلام، وارتضائهم له...

والإعجاب لا ينبت في النفس خبط عشواء.

أتظن العقول النضرة تعجب بالعقول الخرفة؟!!

---

[٩٠] مقالات الشيخ محمد الغزالي ص ٤٠

أتظن الأخلاق الرضيّة تعجب بالأخلاق الرديئة؟!!

أتظن المتقدم في تفكيره ومشاعره يعجب بالمتخلف في هذه وتلك؟ كلا...كلا...

إن المسلمين استحقوا أن يتأسى الناس بهم، وأن ينسجوا على منوالهم، وأن يقلدوهم في أقوالهم وأعمالهم، وأن يهجروا لغاتهم الأصلية إلى اللغة العربية الوافدة؛ لأن المسلمين كانوا يمثلون في العالم نهضة مجدِّدة راشدة مسعدة.

والمعجب بك قد يذوب فيك، وذلكم هو ما حدث في (المستعمرات) التابعة للشرق والغرب، أعني: لفارس والروم، يوم زحف عليها الإسلام، وانساب في جنباتها.

إن من الغباء البالغ أن تنتظر أحداً يؤمن بك عقب انتصار في معركة جدل، أو انتصار في ميدان حرب. إن المقهور في أحد الميدانين قد يستسلم راضياً أو ساخطاً. بيد أنه لن يتبعك عن إخلاص، ولن يشاركك الشعور والفكر أبداً. من ثم نرى لزاماً علينا التوكيد بأن القدوة وحدها، وما يبعث على الاقتداء من إعزاز وإعجاب، هما السبيل الممهدة لنشر الدعوة في أوسع نطاق..[٩١] (الإسلام يريد رجلاً جيّاش العاطفة بالعطاء، صادق الحس بآلام الغير، ينطلق كالسهم في تفريجها دون توقُّف، ولو كان يتعامل مع غير أبناء دينه، إن النبع السيّال لا يحبس بره عن محتاج)[٩٢]

وبعيدا أيضا عن أي قراءة تبريرية للواقع تجعل الدين طبلا يدق في مواكب المستبدين (لا دين حيث لا حرية [٩٣]

(إذا كان الدين مخدراً للشعوب في بعض الأقطار، فالدين في بلاد الإسلام منبِّه للشعوب وحاث لها على مقاومة الظلم، وإشاعة العدل، وتعميم الرحمة، ومنع الجوع، واستنكار البطنة والترف) [٩٤]

وبعيدا عن كل مثقف ارتضى أن يحول خطاب التغيير إلى جدل عقيم ليس من ورائه إلا التنظير والثرثرة والتزيين اللفظي (صناعة الكلام تجعل أصحابها يهتمون بالبديع والزخارف أكثر مما يهتمون بالحقائق)[٩٥] ، (كل تديُّن يجافي العلم، ويخاصم الفكر، ويرفض عقد

---

[٩١] نفس المصدر السابق ص ٤٨

[٩٢] : كنوز السنة الشيخ محمد الغزالي ص ١٤٧

قذائف الحق ص ٢٣٣

[٩٤] : معركة المصحف ص٦٨

[٩٥] : كيف نتعامل مع القرآن الكريم ص١٤٤

صلح شريف مع الحياة هو تديُّن فقد كل صلاحيته للبقاء) [٩٦] وأخيرا بعيدا عن سلطة الحكومات السياسية المستبدة التي بتنا نشفق عليها وصارت هي أقرب إلى مرأى الآخرين أو الغزاة الجدد أكثر من الرجل العادي وبدوا بعد ظهور وجه الخيبة والذل صدام وإسهامه في دحرجة أوضاع الأمة ، يتحسبون حتى لطنين الذباب (إن الإسلام كما الليبرالية كما الديمقراطية يقفون ضد الاستبداد ويعلون من شأن الإنسان ، حقوقه وحرياته.

وقد تجسد موقف الإسلام التحديثي عندما وجه الشيخ محمد الغزالي أسهم النقد الشديد للدستور الذي وضعه تقي الدين لنبهاني مؤسس حزب التحرير والذي يدعو إلى استعادة الخلافة على أساس أقرب إلى نمط الحكم القائم على البيعة وأهل الحل والعقد والشورى المعلمة وليست الملزمة الخ ومدح الشيخ محمد الغزالي دستور ١٩٢٣ م المأخوذ عن الدستور البلجيكي على حد تعبيره على الرغم من أنه لم يكن مليئا بالآيات والأحاديث مثلما كان الحال في دستور لنبهاني . وكان تعليق الشيخ الغزالي أن الدستور البلجيكي أقرب إلى روح الإسلام وجوهره من مقاومة الحاكم المستبد ورقابته من الدستور الذي يبدو شكلا إسلاميا ، لكنه في جوهره يتناقض مع روح الإسلام) [٩٧]

إن الرؤية للغزالي ليست عابثة وعابرة وإنما بداية اجتهادات مستنيرة ووثابة تدعو إلى المزيد من التعقل والتفكر والتدبر .

إذا لعناية الفائقة كانت عند الغزالي للحقائق والتأكيد على فرائض لابد منها وكذلك نفي النزعات المتطرفة التي تجعل من الآخر سبب البلاء وتغض الطرف عن القصور الذاتي إنها المناحي التي أكد عليها الإمام محمد الغزالي : (كل ما أطلبه من المسلمين:

أولاً: أن يوفوا بعهودهم لمَن لا يدين دينهم!!

ثانياً: أن يتشبّثوا إلى آخر رمق بكل شعبة من شعب الإيمان، وكل حد من حدود الإسلام، وكل حكم من أحكام الله وكل معلّم من معالم الشريعة، فإن العالم المتنمّر ضدنا يتهامس فيما بينه، يقول: لقد عاش الإسلام أربعة عشر قرناً، حسبه هذا، يجب أن نجهز عليه!!

---

[٩٦] : ركائز الإيمان بين العقل والقلب ص٢٣

وجهات نظر لا للعلمانية نعم لليبرالية معتز بالله عبد الفتاح ص٥٤

إنني أنذر حتى يعلم المسلمون أن معيشتهم في يوم الناس هذا، وفي الغد القريب والبعيد ستكون معيشة كدح، وكفاح، ودفاع عن تعاليم الإسلام أمام مؤامرات لينقصها الذكاء ولا المهارة!! إننا نحن المسلمون نعيش أحياناً تستبد بنا الأوهام والأحلام والسذاجة التي تبلغ حد الغفلة!! وإذا كان القانون المحلي لا يحمي المغفلين، فإن القانون العالمي لا يحمي المغفلين أيضاً!! ألا فلتستيقظ أمتنا ولتؤدِّ واجبها نحو كتاب ربها وسنّة نبيها صلى الله عليه وسلم [٩٨]

إنها رؤية مصلح عاش لأمته ودينه بين الثلاثية الرائدة المؤمنة المبدعة (عقل فيلسوف، وقلب ناسك، ويراع أديب)[٩٩] وفيما يلي بعض القواعد الدعوية التي يتوجب على الدعاة تلمسها أو التفكير بها والعمل بمقتضاها

القاعدة الأولى لأساليب الدعوة : الدعوة السليمة :

مهما يكن من تبريرات حول قيام العمل المسلح أو تسويغ حمله داخل المجتمع العربي وحتى مع المختلف معه فإن الشيخ الإمام الغزالي أكد أنه لا حاجة للعصا ، فالمصائر التي آل إليها العمل الإسلامي بسبب قهور وتذمر وتسرع بعض قياداته أدت إلى الويلات ، وأدخلتنا في متاهات الدم والانتقام ، كما أن (الإسلام دين أساسه عقلي فطري، يجد طريقه ميسَّراً إلى القلوب، ممهداً إلى أولي الألباب.

التوحيد لا يحتاج إلى عصاً تلهب الجلود كي يقتنع الناس به..

العبادات السمحة، والأخلاق الذاكية، والمعاملات العادلة، والشرائع الضابطة لأفضل المُثل، وأشرف التقاليد، ذلك كله ما يحتاج إلا إلى دعوة هادئة، وإقناع مجرّد.

ربما يحتاج التفكير الذي يرفضه العقل، أو المذهب الذي يأباه الطبع، وتكرهه الفطرة، ربما احتاج هذا وذاك إلى العنف لينتشر. لكن الإسلام لا يحتاج إلى العنف، إنما يحتاج إلى فاهم له، وإلى سامع لا غش في قلبه، ولا هوى في ضميره، فإذا تيسّر هذا وذاك فما يحتاج الإسلام بته إلى العنف.

بل نقول أكثر من ذلك، نقول: إن رسالات السماء التي بدأت مسيرتها على الأرض ما لجأت إلى العنف في إقرار العبودية لله الواحد، وفي حشد الناس على صراطه المستقيم) [١٠٠].

---

[٩٨] : خطب الشيخ محمد الغزالي ج ٢ ص١٢٩

[٩٩] : الغزالي كما عرفته للإمام القرضاوي ص١٥

[١٠٠] : خطب الشيخ محمد الغزالي ج٢ ص ١٣١ ــ١٣٢

القاعدة الثانية لأساليب الدعوة : الداعية الذكي

يعتقد محمد الغزالي أن مفاهيم الحكمة والوعي هي الملهم الرئيس للداعية المسلم كما أنه الحرية في تبليغ الدعوة هي المناخ الأنسب لنشر الدين وأنه كلما كان أفق الدعاة متنورا ورحبا وتجاوز ثقافة التدين الشعبي التي تدافع عن مفردات الموت والظلام أو فقه الخلاص الشخصي إلى مفاهيم ومقاصد الدين الرحبة التي تقوم على ترابط الدين والدنيا كلما حقق إنجازات رائعة وكان أقرب إلى روح الإسلام ،يقول الإمام محمد الغزالي : (اعتمد الدين في شرح مفهومه وبلوغ غايته على دعاة لهم لب ناضج، وقلب سليم. واحتاجت البيئة إلى أن تخلو من السدود العائقة، والطواغيت المستبدّة. عندما يكون صوت العقل لا حجاب أمامه ولا عائق، فإن الإسلام ينتشر وينتصر) [١٠١]. أريد أن أمشي في طريقي وأبقى مستجمعاً أمرين:

الأمر الأول: الجهاز العاقل الواعي الذي يعرض الدعوة بقدرة عقلية على أولي الألباب في كل زمان ومكان، هذا الجهاز لا بد منه لأنه أساسي الذي أقوم عليه، هذا الجهاز – جهاز الدعوة – الذي يدرس العالم كله وما يسوده من فلسفات، وما ينتشر فيه من أفكار، ويكون الجهاز قديراً على قياس مسافات القرب والبعد من العقيدة التي أدعو إليها، والشريعة التي أحكم بها. هذا جهاز لا بد من استبقائه وتنميته وتغذيته علميا بما يعينه على أداء رسالته.

الأمر الثاني: لا بد من جهاز آخر يقوم على المقاومة السلمية لعوامل الفتنة التي تآمرت قوى العالم الشريرة على أن تعترضني بها أحب وأنا أنظر إلى التاريخ أن أكون واقعياً، وأنا أواجه الآخرين الآن) [١٠٢]

القاعدة الثالثة:لأساليب الدعوة : استصحاب معية الله ورقابته وعزة التدين

الفيتامين الأساسي للمسلم بشكل عام والداعية بشكل خاص هو استصحاب رقابة الله واستحضار معيته ذلك أن للوجدان الرطب بذكر الله وللمعية الربانية قوة دافعة ونورا في حياة الدعاة يقول الإمام محمد الغزالي :

---

[١٠١] : نفس المصدر السابق ج٢ ص١٣٢

[١٠٢] : نفس المصدر السابق ج٢ ص١٣٥ ـ ١٣٦

(إذا لم يكن التديُّن صانعاً لخلق يحكم الهوى، وإذا لم يكن التديُّن صانعاً لعاطفة رقيقة تجعل المرء يحني رأسه وصلبه لربه، ويشعر بضعفه فيستغفر ذنبه، وينهض في الهجعات الساكنة كي يرقق روحه بمناجاة الله وطلب خيره، إذا لم يكن التديُّن صانعاً لهذه المعاني فهو تديُّن شكلي لا خير فيه)!! [١٠٣]

القاعدة الرابعة:لأساليب الدعوة : قرآنية التدريس والمناهج

في التربية الدعوية تصاب بعض المدارس النشطة بفقدان الأولويات فيعطى للفقه مثلا أولوية على حساب السنة وعلومها أو للسنة أسبقية على القرآن وتدبره وقد صرح الغزالي في أكثر من موضع على ضرورة الاهتمام بالقرآن أولا تدبرا وفهما فالقرآن حسب تعبير الغزالي: (كتاب تذكير إذا نسي الفكر، وكتاب إيقاظ إذا نام القلب، وكتاب تسديد على الطريق إذا اعوجت الخطى وزاغ الإنسان عن سواء السبيل) [١٠٤].

ويبقى السؤال متى تعطي المدارس الدعوية القرآن الكريم أولوية الأولويات ؟ وكيف نتعامل مع القرآن تدبرا وفهما وإسقاطا على الواقع بذكاء وروية ؟!

القاعدة الخامسة:لأساليب الدعوة : المرأة أولا وأخيرا

السؤال الذي ينبغي أن يجاب عليه بصراحة مادام الإسلام أنصف المرأة وصانها فلم هذا الخروج الواضح على تعاليمه من قبل الكثير من النساء ؟ لم اسنحبالتدين من ميادين المرأة أو تحول التدين في حياتها إلى شكل بلا مضمون ؟

في تقديري أن بيئة الإسلام وخلطه بالقصور الاجتماعي وكذلك مزج الإسلام بالعادات الشعبية أدى إلى تحويله إلى بعبع يخيف النساء وتحول إلى غسار بعد كان سوارا آمانا للمرأة بحاجة إلى نهضة نسائية رشيدة، لَمْ؟ لأن هناك بعض المتدينين لا يعقلون قضايا المرأة، وينظرون فيها بحماقة، وقلّة فقه، ولو وُكِّل الأمر إليهم لحبسوا النساء في البيوت، فلا عبادة، ولا علم، ولا عقل، ولا فكر، ولا نشاط، ولا شيء!! هذا النوع من المتدينين الجهَلة ينبغي أن يُحرم من الكلام باسم الله!!

---

[١٠٣] : خطب الشيخ الغزالي ج٢ ص ١٧٧

[١٠٤] : نفس المصدر ج٢ ص١٢٢

النهضة النسائية الرشيدة تحتاج إلى أن يطرد نوع آخر من المتحدثين في قضايا المرأة وهم عبيد أوربا الذين يريدون إشاعة الخنا في بلادنا، والذين لا يعنيهم أمر العفّة ولا أمر الأسرة، ولا يبالون أن ينقلوا ما هنالك بعمى غريب!!

ومع أن الأسر في أوربا أسر على ورق، ومع أن الغرائز الجنسية جعلت الأعراض كلأً مباحاً، مع هذا كله، فإن مَن أعمى الله بصائرهم وأبصارهم من النساء والرجال، يريدون نقل هذه الحضارة إلى بلادنا!!.

لا أريد، لا تدنُّس الحمقى الذين لا فقه لهم، ولا أغلال الكذَبة الذين لا شرف لهم ولا عرض [١٠٥]!!

ما نحتاجه اليوم حقا هو فكر يسبق فكر هذا الرجل المصلح العملاق فكر يحيا باسم الإسلام ويدافع عن الناس بغض النظر عن معتقداتهم ويرتقي بالخطاب الديني إلى مستوى العصر والراهن . ولأن أسلوب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : هو أسلوب متفرد ، وأداءه للدعوة عجيب ، وصوته الجهير، ونبرته المميزة التي ليكاد يختلف اثنان من متذوقين دعوته علي أنها صادرة منه ن وكأن هذا الأسلوب السهل الممتنع كما قرأنا في كتبه علي أن نصف الأساليب الدعوية التي تعرف طريقها إلي القلوب والأسماع بيسر ، لأن الشيخ محمد الغزالي : غرف هذه الأساليب من بحر القرآن الذي حفظه وهو في سن العاشرة من عمره فرحمه الله تعالي وأدخله فسيح جنته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

والشيخ الغزالي رحمه الله تعالي : يعيب علي بعض الدعاة بل وينال منهم في أسلوبهم الدعوي الخشن ، وهو في هذا كثير السخرية ، وله عبارات لاذعة وليس هدفه منها التعالي أو الغطرسة ، وإنما لعدم سلوك هؤلاء الدعاة الأسلوب اللين والرفق بالمدعو امتثالا لأمر الله ورسوله . قال الشيخ محمد الغزالي :

(... سمعت يوما إحدى خطب الجمعة فقلت لصاحبي: لو أن أحدا نقل هذه الخطبة على أنها من مواعظ القرن الخامس أو السادس ما أنكر عليه أحد... قال: وما الذي يجعل الدعاة والواعظين يفرون من مواجهة هذا العصر؟ قلت: مزيج من الخوف والقصور، الخوف من الحكام، والقصور عن البلاغ الشافي.. وسمعت خطيبا يهدر وكأنما ثكل أبنه،

[١٠٥] : نفس المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٩ ــ ١٦٠

لأن الناس اعتدوا على شعر اللحية لا ريب أن اللحية من سنن الفطرة ولكن هذا الخطيب لم ينس ببنت شفة عندما قتل نحو عشرين ألف مسلم فى زنجبار، وسكت هو وغيره سكوتاً مطبقاً.. لماذا؟ لأن وعيهم بالإسلام وحقيقته وقضايا أمته محصور فى نطاق خاص)[١٠٦]

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله :

إن العقل عند هؤلاء متهم حتى تثبت براءته، والقياس الصريح مؤخر عن الأثر الضعيف، والمصالح المرسلة مذهب مردود على أصحابه، والسيف لا الإقناع أساس نشر الدعوة! وملابس البادية إمارة على التقوى، أما الأزياء الأخرى فإن لم تدل على التحلل فهي موضع ريبة. وعدم البصر لا غض البصر أساس العلاقة بين الجنسين! وجعل الجلباب إلى نصف الساق! والصلاة فى النعال ما أمكن! والأكل بثلاث أصابع بعد الجلوس أرضا على نحو معين! وقلما يعرف هؤلاء شيئا عن ضوابط الحكومة العادلة، ولو سألتهم لعادوا يبحثون فى التاريخ عن أساليب الحكم فى الكوفة أو بلخ ليعطوا صورة شرعية للحكم المطلوب..!! إنني أصادف هذه المناظر المؤذية فى طريق الدعوة فأشعر بالنكد، وآخر ما لقيت من هؤلاء شاب يقول لي: أليس فى الالتحاق بالجيش شيء من الوثنية؟ قلت: ويحك كيف!! قال – فض الله فاه: إنهم يحيون العلم كل يوم وهذه وثنية..!! هؤلاء المرضى مع ديننا المظلوم يشبهون الزمان المدبر الذي قال البحتري فيه:

وكأن الزمان أصبح محمولا **هواه مع الأخص تساءلت: هل وراء هؤلاء أحد يكيد للإسلام؟ فقد ظهروا بغتة فى عدة أقطار متباعدة. وجاءني الجواب على غير انتظار.. فقد كنت أحاضر فى مدينة "المنيا" وعقب المحاضرة رأيت أن أنصرف مسرعا لأني كنت متعبا، ولكن شابا ألح على أن أنتظر لأجيب عن سؤال أثار بعض البلبلة، واضطررت للانتظار، فإذا السؤال المعروض عن حكم "الخل"!! وعقدت لساني الدهشة! حكم ماذا؟ قالوا حكم الخل! قل: ماذا جرى للخل؟ قالوا نسأل عن حله أو حرمته! قلت وأنا ضجر: حلال! فرد أحد المقرعين: الدليل؟ قلت الأصل الحل، ومن زعم الحرمة فهو المطالب بالدليل، وتركت المكان وأنا أتعجب... وشاء الله أن أسافر إلى أبى ظبي وأن أخطب الجمعة فى مسجد

[١٠٦] : أنظر الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر للشيخ محمد الغزالي ص ١٢٩

حاشد، وعقب الخطبة تلقيت أسئلة مكتوبة لأجيب عنها، وإذا بسؤال يتصدرها عن حكم "الخل" ! قلت للمصلين: هذا السؤال مكتوب فى عاصمة أجنبية، أشرف على وضعه [١٠٧] أن فقه العبادات متحرك إلا أن الخلافات فيه تشير إلى عوج عقلي ينفر المتدينين من المسالك الدينية جملة. أفهم شخصياً أن يثور جدل حول سدل اليدين أو قبضهما فى الصلاة، وحول الوضوء من أكل لحم الإبل أو عدمه.. لكن الإنس والجن لا يفهمون لماذا تكون هذه الأمور التوافه مثار معارك طاحنة وتغاضب شديد.. كنت أسير فى أحد شوارع القاهرة فوجدت مبنى لبعثة إيطالية تدرب أبناءنا على صنع الأحذية... قلت لنفسي: حتى فى هذا الميدان نحتاج إلى تدريب ثم وثب بذهني خيال دعاة يريدون نشر الإسلام بالسيف فقلت لهم فى الخيال: حاربوا حفاءكم أولا، ثم تواضعوا لله، وتعلموا دينكم ممن هو أبصر منكم بأصول الدين، وفروعه، ووسائله، وغاياته، إنكم عبء على دين الله ودنيا الناس..

*إن بعض الذين ضاقوا بالانحرافات المعاصرة فى العالم الإسلامي فكروا فى العودة إلى الأمس القريب، أو إلى بضعة قرون مضت! فقلت: لا مثلنا الأعلى فى القرن الأول وحده، ففي الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "أنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ". والاقتداء بداهة ليس فى ركوب الخيل والإبل، والحرب بالسيف والرمح! الاقتداء فى التجرد والخشية وإيثار الآخرة!! أما تأمين الحقيقة فقد استحدثت له وسائل مدنية وعسكرية لا حصر لها، ويجب على حملة الرسالة إتقان هذه الوسائل..

*وأعرف الآن نساء يقمن بعمل رحب فى خدمة بيوت الطالبات، و إنشاء المؤسسات الصحية والثقافية.. فى مقدمتهن السيدة الجليلة "زهيرة عابدين" الأستاذة بكلية الطب جامعة القاهرة.. وقد استعانت بى فى فتوى متواضعة لتمنع متخرجة فى كلية الصيدلة من القعود فى البيت والارتزاق من آلة الخياطة.. لأن أحد المشايخ قال لها: "إن المرأة لا يجوز أن ترى أحدا أو يراها أحد!". قلت لها: هذه فتوى مخبول لا يعرف الإسلام.. بل هو وأمثاله قرة عين لأعداء الإسلام.. فلا يحرم الإسلام على المرأة أن تبيع وتشترى. وأن

[١٠٧] : هموم داعية ص ١٢٥

تتعامل مع الناس، ما دامت مستترة فى زيها الإسلامي متأدبة بآداب الإسلام، غير متبرجة بزينة.. تحفظ نفسها وعرضها من الذئاب.

ومن أساليب الشيخ في تصحيح المفاهيم تجاه بعض الأحاديث النبوية أن يسوقها في حوار مثير يشد انتباه السامع ويعلق من فوره بالأذهان وهو أسلوب أدبي رفيع يجعل القارئ وكأنه أمام المشهد فمن هذه الحوارات قوله: *كنا ضيوفا عند أحد الناس. فسكب فى يدي قطرات من ماء لكولونيا.. فإذا أحد الدعاة يصرخ: "حرام! نجس!" فقلت له: دعني ورأيي، إن مالكا ـــ رضي الله عنه ـــ يرى ريق الكلب وعرقه طاهرين.. ويراهما غيره نجسين. فلنتعاون فيما اتفقنا عليه.. ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه. فقال: اليد التي بها (كولونيا) نجسة، وتحرم مصافحتها! وعلمت أنى أحدث من لا يستحق المحادثة.. علمت أنى أمام امرئ مسعور! .

*ورأيت طالبا فى القاهرة يريد أن يدخل كلية الطب بجلباب وقلنسوة.. وسألته: لم هذا الشذوذ؟ قال: لا أتشبه بالكفار فى ارتداء البدلة الفرنجة.. قلت: التشبه الممنوع يكمن فى انحلال الشخصية، وإعلان التبعية النفسية والفكرية لغيرنا، ولقد لبس الرسول صلى الله عليه وسلم جبة رومية كانت ضيقة الأكمام.. فلما أراد الوضوء أخرج ذراعيه أسفل.. ولكن الطالب الأحمق أبى وترك الدراسة الجامعية. نماذج من سوء الفهم وكنا يوما فى حفل جامع وكنت ألقى محاضرات "ذات بال" فى موضوع خطير.. ورأى أحد الصحافيين التقاط صورة للجمع الحاشد.. ولكن الداعية نهض يمنع التصوير ، فلما أصر الصحافي علي المضي في عمله اتجه الداعي إلي الآلة ليكسرها [١٠٨]

وجاءني الواعظ الغيور يسألني : لماذا لم تمنع التصوير؟ قلت: لأني أراه مباحا. قال: ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن أشد الناس عذابا المصورون"؟. قلت: إنه يعنى صانعي التماثيل للعبادة.. ولا يتصور أن يكون هذا الصحافي أشد عذابا من الزناة والقتلة والمرابين والظلمة.. قال: الحديث عام فلماذا تخصصه؟ قلت: خصصه الواقع الذي لا يمكن تجاهله.. فالوثنيون كانوا يعبدون أصناما مجسمة و لم يعبدوا صورا شمسية.. وعندما تكون الصورة الشمسية لصنم أو لصليب أو لمعنى ديني مرفوض فسنحرمها. أما التقاط الصوت

[١٠٨] : هموم داعية ص١١٣

فى شريط مسجل، أو التقاط الظل والملامح على ورقة لأغراض علمية أو اجتماعية فلا علاقة له بالوثنية، ولا يحكم عليه بتحريم.. بل هو كما نبه مسلم فى صحيحة ليس (إلا رقما فى ثوب).. قال: هذ ا الكلام مردود، ومحاضرتك عن الوحدة الإسلامية، وعن التناحر بين المسلمين لا تقبل. ما دامت مقرونة بإقرار التصوير! وشعرت بالضيق.. ثم كظمت غيظي ورفضت مواصلة النقاش. وأحيى آخرون السنة النبوية بالأكل على الأرض، واستخدام الأيدي، رافضين الأكل على الموائد، واستعمال الشوك والملاعق.

قلت: من قال: إن الأكل على المائدة، أو استخدام الملاعق مخالف للسنة؟ إن فهم هؤلاء الناس للدين غريب، وإثارة هذه القضايا دون غيرها من أساسيات الإسلام مرض عقلي.. إنه ضرب من الخبال. إن المؤامرات تسنحكم يوما بعد يوم لاغتيال الإسلام أو الإجهاز عليه جهرة.. فكيف يشتغل قوم بهذه السنن فقط ثم يتساهلون فى الواجبات وعظائم الأمور؟!!

جاءني أحدهم يسألني بأدب: أنت فلان؟ قلت: نعم. قال: قرأت رسالة وزعت علينا تصفك بأنك تهاجم السنة! وأنك مع الشيخ "أبى رية" فى تكذيب الأحاديث! قلت فى سكون: وقعت هذه الرسالة فى يدي..!

قال: ما رأيك فى هذه التهم؟ قلت: ما رأيك؟ هل قرأت لي كتبا؟ قال: نعم، قرأت كتابك "خلق المسلم". قلت: فى هذا الكتاب وحده أكثر من ألف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفى فقه السيرة وكتابين آخرين نحو ألفى حديث. فإذا أثبت رجل فى عشر مؤلفاته نحو ثلاثة آلاف حديث، فكيف يتهم بتكذيب السنة؟!. قال: إنك رددت حديثا صحيحا رواه البخاري ومسلم. وهو أن الرسول صلى الله عليه وسلم أغار على بني المصطلق وهم غارون! قلت على عجل: لقد رددت الفهم القذر الذي استقر فى ذهن بعض الناس لما قرأ هذا الحديث.. إننا نحمى السنة من إفهام الأراذل. قال: وحديث آخر من الصحاح رددته.. وهو حديث "أنه ما من يوم يجيء إلا والذي بعده شر منه" قلت: بل رده حديث آخر: "أمتي كالغيث لا يدرى أوله خير أم آخره" وحديث حذيفة الذي رواه مسلم وجاء فيه: "أن بعد الخير شرا وبعد الشر خيرا". ومن جملة الأحاديث الواردة فى القضية يفهم أن تاريخ الإسلام بين مد وجزر، وكربة وإيناس، ونصر وهزيمة.. أما

القول بأن الإسلام يسير كل يوم إلى الهاوية، وأن مستقبله مشئوم.. فقول مكذوب. قال: هذا ظاهر الحديث.. قلت: هذا ظاهر فهمكم أنتم لحديث لم تبلغ عقولكم غوره.! بم سينزل عيسى بن مريم؟ وحديث نزوله صحيح؟ أليس نزوله لمقاتلة الصليبيين ونصرة التوحيد، وذبح الخنزير، ووضع الجزية.. ألستم تقرءون هذا.. فأين الهاوية التي ينتهي إليها الإسلام حتما. هل السلفية التي تزعموها هي اتهام رجل بتكذيب السنة لأنه أول حديثا يشعر ظاهره بسوء مستقبل الإسلام. أي تدين هذا الذي يتزعمونه. وأي دعوة هذه التي تنشرون؟!.. الحق أن هناك أناسا يشتغلون بالدعوة الإسلامية وفى قلوبهم غل على العباد، ورغبة فى تكفيرهم .[١٠٩]

[١٠٩] : نفس المصدر السابق ص١٢٤ ــ ١٢٧

المبحث الثاني : فكره وأساليبه في تربية الإناث :

أن الشيخ الغزالي رحمه الله : كان في الستينات يؤكد علي أولوية عمل المرأة داخل بيتها ، ولكنه في الثمانينات وبعد طول خبرة ، يسعي إلي إيجاد توازن بين مسئولية المرأة داخل أسرتها ، ومسئوليتها تجاه قضايا الأمة . [١١٠]

ويري الغزالي : أن مستقبل الإسلام رهن بإعادة النظر في قضايا عديدة منها قضية المرأة ، وأن التضييق كان مدخلا لأعداء الدين لكي ينفذوا إلي المجتمع الإسلامي [١١١] وقال الشيخ محمد الغزالي : (لابد من تثقيف المرأة وعرف الشيخ التثقيف : بأنه تفتيق الذهن والمواهب وتصحيح فكرة الإنسان عن الكون والحياة وتعهد سلوكه بما يلاءم الحق والواجب) [١١٢]

قال الشيخ :(أن التربية نشاط شعبي قبل كل شيء ، ولابد من تغيير التقاليد السيئة والأوهام الشائعة) [١١٣]

ويقول رحمه الله : (أن التربية الناجحة تحتاج إلي البيئة السليمة ،والتربية المنشودة ليست دروسا تلقي ، إنما هي جويصنع ، وإيحاء يغزوا الأرواح باليقين الحي والعزيمة الصادقة) [١١٤]

ويطالب الشيخ محمد الغزالي : بتربة المرأة تعليما راقيا يؤهلها لإدارة مترلها ومجتمعها فتفيد أسرتها وتثري مجتمعها ، فالمرأة المؤهلة الملتزمة بآداب الإسلام تستحق أن تتقلد أرفع المناصب وتعمل في الوظائف العامة بحرية تامة ، وقال الشيخ في كتابه ركائز الإيمان :بيان ضرر الأحاديث المكذوبة مثل حديث : (لاتعلموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف) وحديث : (خير للمرأة ألاتري رجلا ولا يراها رجل) (فهذه الأحاديث الباطلة استقبلها الناس كأساس السلوك في بعض البينات) [١١٥]

وأشار الشيخ في كتابه (فقه السيرة) : (إلي أن الجهل بالسنة النبوية جعل البعض يعزل النساء تماما عن الحياة العامة) ١١٦ وقال رحمه الله (أتخوف من سيطرة بعض الحركات

---

[١١٠] : الحق المر للشيخ محمد الغزالي ص٩٤ ــ٩٥
[١١١] : المصدر السابق ص٩٦
[١١٢] : من هنا نعلم للشيخ محمد الغزالي ص١٦٦
[١١٣] : صيحة التحذير من دعاة التنصير للشيخ محمد الغزالي ص٢٤ ــ ٢٥
[١١٤] : نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي ص٩٤
[١١٥] : ركائز الإيمان للشيخ محمد الغزالي ص١٥٧
[١١٦] : فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي ص٣٦

الإسلامية في حال الوصول للحكم ، لأنهم لايؤمنون بمبدأ التوسع في تعليم المرأة) [117] وتناول الشيخ : بعض المتدينين باللوم والإنكار ، لأنهم لم يعرضوا سماحة الإسلام في قضايا المرأة ، بل هم من أسباب نفور الحركات النسائية من تعاليم الإسلام ،وفي نفس اللحظة انتقد الحركات النسائية لأنها هاجمت الدين ، لاالمتد ينين [118]

وقال الشيخ رحمه الله : (إشكالية تعليم النساء في القرن العشرين ،فلم تفتح المدارس أبوابها إلا بعد محاولات مضنية ، ولا تزال فكرة عزل المرأة عن الدين والدنيا قائمة في أدمغة نفر من المتدينين) [119]

ويري الشيخ رحمه الله :(إلي أنه يجب لمن يربي الإناث من رعاية الأسس النفسية والاجتماعية من أجل تقديم برامج إصلاحية نافعة ، وحدد مجموعة من الأسس في هذا الإطار ذكر منها : توثيق الصلة بين المرأة وينابيع الثقافة الدينية والمدنية ، وإعادة الحياة للعلاقة بين النساء وبيوت الله في الصلوات، فضلا عن تدريس الوظائف التربوية للبيت المسلم حتي نستطيع تخريج أجيال تعرف ربها ودينها ومعاشها ومعادها ، كما أوصي بالحكم بإعدام ماتواصي المسلمون به في تقاليد الزواج من مغالاة في المهور، وإسراف في الحفلات ، ووصل ما بين البيت المسلم وقضايا المجتمع الكبرى) [120] ولقد تراجع الشيخ رحمه الله : عن هذا الرأي:فيما يتصل بالاختلاط المحتشم في المرحلة الجامعية ، وطالب الشيخ بضرورة السماح للمرأة بارتياد المساجد والمدارس ، وبين أن سفور الوجه ليس محرما ، وأكد أن تدريب المجتمع علي تطبيق الفضائل والآداب العامة يحتاج إلي تربية علي نظام أتم وأشمل [121]

ويري الشيخ رحمه الله : (أن المرأة يمكنها أن تعمل في تدريس الأطفال إلي سن التاسعة أو الحادية عشر) [122]

وحذر الشيخ رحمه الله : (من التعليم المختلط في المدارس الثانوية ، لأنه جمع يوقد الشر ويؤجج المشاعر عند المراهقين ، فطبيعة هذه المرحلة لاتسمح بذلك ، وستكون الدراسة

---

[117] : تراثنا الفكري للشيخ محمد الغزالي ص ٤٧ــ ٦٣

[118] : حصاد الغرور للشيخ محمد الغزالي ص ٢٠٧

[119] : كتاب مقالات الشيخ محمد الغزالي ج١ ص٢٩

[120] : قذائف الحق للشيخ محمد الغزالي ص ٢٩٨

[121] : من هنا نعلم للشيخ محمد الغزالي ص ١٦٠ ـــــــ ١٦٦

[122] : حقوق الإنسان للشيخ محمد الغزالي ص ٩٦

فاشلة ،كما طالب بتوحيد زى الطالبات في جميع مراحل التعليم) ١٢٣ و لم يمنع الشيخ الاختلاط بين الجنسين علي إطلاقه بل فصل في الأمر .

يستطيع المربون إنتقاع مقطوعات تربوية وتعليمية من ذلك الفكر الأصيل النابض وتسخيره لنهضة حضارية تقوم علي توظيف طاقات المرأة المعطلة ، وجعل قضيتها ركيزة إيمانية لبناء فلسفة واضحة ، وتحديد معالم إستراتيجية محددة لتثقيف المرأة ، وتصويب المفاهيم الشعبية الخاطئة ومراجعة الموروثات الفكرية الشائعة كوظيفة أولي للتربية ، والرد علي شبهات الغلاة ، والتعريف بالتربية الإسلامية عالميا ، والشيخ رحمه الله : يعتز بالمصلحين ويقر بفضلهم ويقدر مواقفهم ، ويتخير من آرائهم ولكن لايتحيز لفكرهم ، والتربية الصحيحة هي القوة الفعلية لنهضة الأمم دوما ، ورغم أن الشيخ : شديد الإعجاب بالأفغاني وفكره في الإصلاح السياسي ن إلا أنه لايعتبرتغيير الحكومات هو الحل الجذري لأنه رفع مستوي الشعوب .١٢٤ والخلاصة : تركز فلسفة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله التربوية : علي ضرورة الإصلاح الشامل وضرورة تقديم الفكر الإسلامي المنفتح ، عن طريق السلوك الحميد ، وعن طريق التعاون مع كل من يمكن التعاون معهم ،لأن الحكمة لاوطن لها فأينما وجدها المسلم فهو أحق الناس بها .

---

[١٢٣] : الحق المر للشيخ محمد الغزالي ج ٣ ص ٣٨

[١٢٤] : الحق المر للشيخ محمد الغزالي ج ٢ ص٦٢

المبحث الثالث : الداعية الناجح في الأساليب الدعوية عند الشيخ محمد الغزالي:

فأمر الشيخ محمد الغزالي :الدعاة جميعا إلي الأسوة بالنبي صلي الله عليه وسلم والمنهج الذي سار عليه ، لنجاح دعوتهم إلي الله تعالي ، وما أكثر الدعوات التي قامت تدعوا باسم الإسلام إلي الإسلام ، وهي أبعد ما تكون عن روحه ومقاصده ، فكان ا ثر ها الإساءة إلي الإسلام وتعاليمه ، إنه لاخوف أبدا علي دعوة الإسلام من أن يكون لها مناهضون من خارجها ، فتلك سنة من سنن الله الجارية ، ومقوم من مقومات صلاحية الحياة للبقاء ، أما أن يكون أعداء الدعوة هم أبناءها ورجالاتها فذلك ما يذهب النفس حسرات ، ويقطع القلب زفرات ، والعلاج الوحيد الذي يضمن للدعاة اليوم استعادة العافية وقوة الأثر والتأثير في المجتمعات هو السير علي آثار خطي رسول الله صلي الله عليه وسلم في دعوته والقواعد التي انطلق منها يدعوا ويبلغ .[١٢٥]

ويقول الشيخ محمد الغزالي : (علي مسار الدعوة نحن ندعو ربنا في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم ، والصراط المستقيم : ليس خطا وهميا ينشأ عن هوي الأفراد والجماعات ، وإنما هو حقيقي يرسمه من الناحية العلمية : القرآن الكريم ، ومن الناحية العملية : الرسول صلي الله عليه وسلم الذي حمل الوحي وطبقه وربي جيلا من الناس علي عقائده وشرائعه ، والتأريخ الإنساني يشهد بقوة ووضوح أن قافلة الإسلام لزمت هذا الصراط حينا من الدهر ، وأنها قدمت للعالم نماذج حية في بناء الخلق والمجتمع والدولة ، نعم كان السلف الأول عابدين لله ، ذوي بصائر ترنوا إليه وتستمد منه ، وتتضح بالتقوى والأدب في كل عمر يباشرون ، وكانوا إلي ذلك خبراء بالحياة يسوسونها بالعدل والرحمة ، ويقمعون غرائز التطلع والحيف ، ويرفضون ما سبق الإسلام في ميدان الحكم من فرعونية وكسروية وقيصرية ، كما يرفضون ما سبق الإسلام في ميدان التدين من شرك وتجسيد وتعطيل ، إن الصراط المستقيم ليس وقوف فرد في المحراب لعبادة الله وكفي ، إنه جهاد عام لإقامة إنسانية توقر الله ، وتمشي في القارات كلها وفق هداه ، وتتعاون في السراء

---

[١٢٥] : الدعوة الإسلامية للشيخ محمد الغزالي ص١٧

والضراء حتي لا يذ ل مظلوم ، ويشقي محروم ، ويعيث في الأرض مترف ، ويعبث بالحقوق مغرور ، إن السلف الصالح وحدهم هم مصدر الأسوة للداعية)[١٢٦]

كثير من الناس إذا ذُكر اسم الداعية ينصرف ذهنه إلى الخطيب، وإذا ذُكر اسم الخطيب ينصرف إلى الداعية.

ذلك أن الداعية طبيب يَطبُّ المجتمع من أدوائه، ويبرئه من علله، ويعالج مشكلات الناس، ويلبي حاجات المجتمع؛ فهو عقل قادر على الربط بين مشكلات المجتمع وثقافة الدعوة، يشخص فيه الداء؛ ليصف له الدواء.

إن الخطابة تمثل إحدى وسائل الدعوة التي تشمل وسائل أخرى عديدة، منها: القدوة الحسنة، والتعليم والتذكير، والكتابة بأنواعها، والترغيب والترهيب، والعمل المتواصل من أجل قضاء مصالح الخَلْق، والمشاركة في النشاطات الاجتماعية المختلفة، والقيام بكل ما يوصف بالعمل الصالح في مجتمع من المجتمعات.

ومن الخير -أيضا- أن نفرق بين الصفات أو الخصائص والمقومات؛ فالمقومات هي ما يكوِّن للداعية ذاته وينشئ بنيانه، أما الصفات والخصائص فهي شيء خارج عن تكوين الداعية، أو ملتصق بجسده؛ فالمبنى مثلا يتكون من حجرات وأدوار ومواد كونت هذا البناء، هذه هي المقومات، أما الصفات والخصائص فهي كأن يكون المبنى مرتفعا وحجراته واسعة، ولونه كذا... الخ؛ فالمقومات -بتعبير الناطقة- جوهر، بينما الخصائص والصفات عَرَض.

ويطيب الحديث عن خصائص الداعية ومقوماته إذا كان من خلال داعية كبير مثل الشيخ محمد الغزالي، الذي عاش حياته داعيا إلى الله مجاهدا في سبيله، ومات وهو يدافع عن الدعوة.

يرى الشيخ الغزالي -ابتداء- أن الناس لا غنى لهم عن هداية الله كما لا غنى لهم عن رزقه؛ فهم فقراء فيما يطعم أبدانهم من جوع، وفيما يزكِّي أرواحهم من كدر.

ومهما أوتي بعضهم من ذكاء أو صفاء؛ فإنه لن يستطيع تدبير شأنه وإصلاح أمره بعيدًا عن وحي الله وتعاليم أنبيائه.

---

[١٢٦] : هموم داعية للشيخ محمد الغزالي ص ١٠٢ ـــــ ١٠٤

إن الأمم إذا لم تنتعش برسالات السماء؛ فهي جماهير من موتى القلوب، أو هي ألوف من الرمم الهامدة، وإن حرّكتها الغرائز السافلة، والأمم مهما ارتقت من الناحية النظرية أو الصناعية، فإن بعدها عن الله يزين لها من الجرائم ما تنحط به إلى الدرك الأسفل، وما تتعرض به لأوخم العواقب.

إن الجفاف الروحي والانقطاع الرهيب عن الله رب العالمين، والصدود الغريب عن تراث النبيين، وغلبة الأَثَرَة والجشع على الأقوياء، وسيادة المنطق المادي في كل شيء.. إن هذا نذير شؤم، وأي تقدم يحرزه العِلْم في تلك الميادين لا يبعث على التفاؤل، ما لم بصحبه عَوْد سريع إلى الله، وإعزاز لأمره، وإعلاء لشرعه [١٢٧]

ويؤكد الشيخ دوما على أن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة؛ فالأمم العظيمة ليست إلا صناعةً حسنة لنفر من الرجال الموهوبين، وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المظلم.

إذا كان الأمر بهذه الأهمية فليس كل إنسان -بداهة- يصلح أن يكون داعية؛ فقد يكون المرء عالِمًا كبيرًا، ولا يكون داعيةً، فالداعية له مؤهلات أو خصائص قد لا تتوافر لغيره من العلماء الباحثين (الأكاديميين)، والدعاة أنفسهم متفاوتون في حظهم مِنْ هذه الخصائص.

وربما تبدو هذه الخصائص لأول وهلة نعوتا عامة يجب وجودها في جماهير المسلمين، ولا يختص بها نفر من الناس، بيد أن هذه النعوت وإن كانت شائعة في عامة المؤمنين فإن أنصبة الدعاة من معناها يجب أن يكون أَرْبَى وأزكى.

إن حقائق الدرس بعد أن يشرحها الأستاذ قد تظهر متساوية لدى الجميع، وقد يظن التلاميذ أنهم ومعلمهم أصبحوا سواء في وعيها، وهذا بعيد؛ فإن الأستاذ لديه من رسوخ المعلومات ووضوحها، ومن القدرة على تقليبها وعرضها ما يعز على غيره، وقد يوجد في الناس من امتلأ قلبه بالإيمان، لكن هذا الإيمان لا يعدو أصحابه، والإناء لكي ينضح على ما حوله يجب أن يفيض، وأن يترل فيه ما يزيد على سعته وما ينسكب من جوانبه؛

[١٢٧] :مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة ص١٥ـ١٩

فنفوس الدعاة يجب أن يكون لديها مقادير من اليقين والحماس والفضل يتجاوزها إلى ما عداها، ويجعل الاستفادة منها ميسرة للآخرين[١٢٨]

وقد استقر أنا استقراء سريعا كتب الشيخ وتراثه، فوجدنا أبرز خصائص الداعية الناجح ومقوماته تتمثل فيما يلي:ـــــــــــ

أولا: حسن الصلة بالله تعالى وهي الصلة التي إليها يفيء الداعية ويرجع، وعليها يعتمد ويعوِّل، ومنها يستمد ويقتبس، ولها يدعو ويبتهل، وعندها تجد نفسه راحتها وعزاءها.

والشيخ الغزالي يسميها "الدعامة الأولى في أخلاق الدعاة"، ولا يجوز عنده أن ينفك هذا الخلق عن داعية من الدعاة؛ إذ كيف تدعو الناسَ إلى أحد وصِلَتك به واهية ومعرفتك به قليلة؟ ويشهد التاريخ أنه ما من نبي أو داعية أو مصلح إلا وكان له من حسن الصلة بالله النصيب الأوفر والقدح المعلَّى، وكانت صلته بالله قوية لا تخبو، حاضرة لا تغيب.

وإذا كان حسن الصلة بالله مطلبا ضروريًّا لكل مسلم، فكيف يكون حكمها في شأن الداعية؟ إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله، ولدفع الناس إلى سبيله وصفِّهم في طريقه لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم، ورقابتهم له أقوى وأوضح.

ثانيا: إصلاح النفس

وهو أمر واجب على كل مسلم، ونصيب الدعاة منه أقوى وألصق، ولعل إصلاح النفس ومعالجتها أولى ثمرات حسن الصلة بالله تعالى؛ فمن ذكر الله وأحسن به الصلة بصَّره بعيوب نفسه، وجعله منها على بصيرة، أما الذين نسوا خالقهم فهم يسيرون على غير هدى، ويخبطون خبط عشواء: "وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"[١٢٩].

إن من أخطر النقائص أن يدعو الداعية إلى خُلُق وقلبه منه فارغ، أو ينهى عن خلق ويراه الناس عليه، إنه –والحالة كذلك– لا يسيء إلى نفسه فحسب إنما يسيء إلى غيره من الدعاة، لا.. بل يسيء إلى الإسلام ذاته.

---

١٢٨ : موكب الدعوة ص٨٣

١٢٩ : الحشر ١٩

فضلا عن ذكر الشيخ لنوع من الدعاة يحسبون كل ما يقولونه لغيرهم ليس موجَّهًا إليهم بالدرجة الأولى.. إنما هو أمر يخص المخاطبين فقط، إنهم نَقَلَة فحسب، "أشرطة مسجلة" أو "أسطوانات معبأة" تدور بعض الوقت ليستمع الناس إليها، وهي تهرف بما لا تعرف، ثم توضع في أماكنها لتدار مرة أخرى إذا احتيج إليها.

ومع أن هذا النوع أهون من سابقه فإن الشيخ يقول عنهم: "هم آفة الإيمان، وسقام الحياة، وهم الثقل الذي يهوي بالمثل العليا ويمرغها في الأوحال) [١٣٠]

ثالثا: ذكاء العقل ونقاء القلب ودقة الفهم

وهذه فطرة يُفطر عليها الداعية ويُخْلق بها، تجعله يقدِّر الأمور بمقدارها، ويضع كل شيء في مكانه، ويزن كل شيء بالقسطاس المستقيم، وباختصار تعبر عنها كلمة "الحكمة": "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ"[١٣١]

ويوضح الشيخ مراده بذكاء العقل قائلا: "ولا أريد بالذكاء عبقرية فائقة، يكفي أن يرى الأشياء كما هي دون زيادة أو نقص؛ فقد رأيت بعض الناس مصابا بحَوَل فكري لا تنضبط معه الحقائق، قد يرى العادة عبادة، والنافلة فريضة، والشكل موضوعا، ومن ثَمَّ يضطرب علاجه للأمور، وتصاب الدعوة على يديه بهزائم شديدة)[١٣٢]

كما يبين مراده بنقاء القلب فيقول: "لا أريد بنقاء القلب صفاء الملائكة، وإنما أنشد قلبا محبا للناس، عطوفا عليهم لا يفرح في زلتهم، ولا يشمت في عقوبتهم؛ بل يحزن لخطئهم ويتمنى لهم الصواب) [١٣٣]

وفي فكر الشيخ الغزالي –بل في أي فكر مستقيم– ينتج عن دقة الفهم عند الداعية التشخيص الصحيح للعلة التي أمامه، وتهيئة شفاء مناسب لها من كلام الله ورسوله، وبذلك يجيء نصحه طبا للمريض، ورحمة تُذهب عناءه، ونورًا يهديه السبيل.

---

١٣٠ : مع الله ص١٧١

١٣١ : البقرة ٢٦٩

[١٣٢] : الحق المر ص ١٣٥ ، وخطب الشيخ محمد الغزالي ج١ ص١٧

[١٣٣] : المصدر السابق : نفس الصفحة ، وخطب الشيخ ج١ ص١٦

والقدرة على هذا الأسلوب لا يُلقَّاها -عند الشيخ- إلا من استجمع ثروةً طائلة من نصوص الكتاب والسنة، تكون رصيدا عنده لأي داءٍ وافد أو مرض عارض، وإحاطةً تامة بطبيعة البيئة وأحوالها الخفية والجلية، وظروفها القريبة والبعيدة؛ ليكون ذا خبرة واعية بالميدان الذي سيعمل فيه، حتى يدرك كيف يصلح دنيا الناس بدين الله [١٣٤]

إن الداعية الذي لا يجمع بين الذكاء والنقاء يثير مشكلات معقدة أمام انتشار الإسلام؛ فلا دين إذا لم يتكون القلب النقي والعقل المؤمن، فمن فقد الضمير الصاحي والفكر الذكي فلا خير فيه [١٣٥]

رابعا: الإخلاص

ولا يتعجب القارئ من تأخير الإخلاص بعد حسن الصلة بالله وإصلاح النفس والذكاء والنقاء؛ فلا يغني الإخلاص شيئا إذا كانت صلة الداعية بالله واهنة، بل هما متلازمان، وكذلك الأمر إذا كان مخلصا ولا يتعهد نفسه بالعلاج والمجاهدة، أو يخالف قوله فعله، وهل يغني الإخلاص عن ذكاء العقل ونقاء القلب شيئا مذكورا؟

إن الحركة الإسلامية المعاصرة لأشد ما عانت من قوم لا يشكِّك أحد في إخلاصهم وتجردهم لله تعالى، لكنهم فاتهم كثير من حسن الفهم وعمق التجربة، فأساءوا إلى الإسلام من حيث أرادوا الإحسان، ولقيت الدعوة على أيديهم ما لم تلقه من أعدائها.

وإذا كان الإخلاص فريضة على كل عابد؛ فهو في حق العامل والداعي أفرض وأوجب، وغني عن الذكر ما ورد في القرآن من آيات وفي السنة من أحاديث تحض على الإخلاص في العمل والعبادة، وتحذر من الشرك بالله وابتغاء غير وجهه تعالى بالعمل.

إن الداعية المرائي -في فكر الشيخ- يقترف جريمة مزدوجة، إنه في جبين الدين سُبَّة متنقلة وآفة جائحة، وتقهقُرُ الأديان في حلبة الحياة يرجع إلى مسالك هؤلاء الأدعياء، وقد رويت آثار كثيرة تفضح سيرتهم وتكشف عقباهم، والذي يحصي ما أصاب قضايا الإيمان من انتكاسات على أيدي أدعياء التدين لا يستكثر ما أعد لهم في الآخرة من ويل.. والعمل

---

[١٣٤] : مع الله ص ١٧٣ ـــــ ١٧٩

[١٣٥] : الحق المر ص ١٣٦ ـــ ١٤١ ، وعلل وأدوية ص ٢٠٨ ـــــ ٢١٠

الخالص الطيب –ولا يقبل الله إلا طيبا– هو الذي يقوم به صاحبه بدوافع اليقين المحض وابتغاء وجه الله، دون اكتراث برضا أو سخط، ودون تحرٍّ لإجابة رغبة أو كبح رغبة [١٣٦]

خامسا: الثقافة الموسوعية

فقر الثقافة للدعاة يمثل –في فكر الشيخ– خطرا أشد من فقر الدم، وأسوأ عقبى من الفقر المالي، والشعب الذي يعاني الغباء والتخلف لا يصلح للمعالي، ولا يستطيع حمل رسالة كبيرة. [١٣٧] فغزارة الثقافة وسعة الأفق وروعة الحصيلة العلمية خِلالٌ لا بد منها لأي داعية موفق، وكيف لا والداعية يواجه طبقات شتى واهتمامات متعددة تختلف باختلاف الناس؟ إنه يخاطب الطبيب والمهندس والأستاذ والمعلِّم والعامل والصانع والحائك والتاجر، والمتعلم والجاهل، والمؤدب وسيئ الأدب، والعاقل والأحمق، إنه يحتاج إلى ثقافة تضم هؤلاء جميعا وتؤثر فيهم. ولهذا يطلق الشيخ الغزالي العنان في الثقافة أمام الداعية، يقول: "إن الداعِيَة المسلم في عَصْرِنا هذا يجب أن يكون ذا ثَرْوَةٍ طائلة من الثقافة الإسلامية والإنسانية؛ بمعنى أن يكون عارفًا للكتاب والسُّنَّة والفقه الإسلامي والحضارة الإسلامية. وفي الوقت نفسه يجب أن يكون مُلِمًّا بالتاريخ الإنساني وعلوم الكون والحياة، والثقافات الإنسانية المُعاصرة التي تَتَّصِل بشتَّى المذاهب والفَلْسَفات ... ويحتاج الداعية المسلم في هذا العصر إلى بصر بأساليب أعداء الإسلام على اختلاف مَنازِعِهم، سواءً كانوا مُلْحِدين يُنْكِرون الإلوهية أو كِتابِيِّينَ يُنْكِرون الإسلام" [١٣٨]

كما يحتاج الداعية –في نظره– إلى علوم العربية والأدب شعرا ونثرا؛ ف"الداعية الذي يشعر بغربة في ميدان الأدب يجب أن يترك ميدان الدعوة لفوره؛ فإن الذي يحاول خدمة الرسالة الإسلامية دون أن يكون محيطا بأدب العربية في شتى إعصارها إنما يحاول عبثا، وأنَّى لرجل محروم من حاسة البلاغة أن يخدم دينا كتابه معجزة بيانية، ورسوله إمام للحكمة وفصل الخطاب) [١٣٩]

---

[١٣٦] : مع الله ص ١٨٠ ـــــ ١٨٤

[١٣٧] : كنوز السنة ص ١٢

[١٣٨] : خطب الشيخ ج ١ ص ١٦ ، ومع الله ص١٩٥

[١٣٩] : نفس المصدر السابق ص ٢٠١

ويركز الشيخ الغزالي في الثقافة على فهم القرآن أولا قبل السنة بالذات؛ لأن السنة مبيِّنة له، وشارحة لغامضة، وموضحة لمبهمة، وقد قال الله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [١٤٠] فالنفس الإنسانية لا تدرك أطرافا من الكمال الأعلى يغرس في أعماقها أروع العقائد وأرسخ الإيمان إلا إذا اتصلت بهذا القرآن واستمعت إليه وفتحت أنظارها لهدي [١٤١]

سادسا: صفات جامعة

وهناك صفات أخرى عديدة، لعل أهمها الشجاعة والجرأة ما دام الداعية على حق في مواجهة باطل، وهي صفة يسقط عندها كثير من الدعاة إلا مَنْ عصم الله وسدَّد، ذلك أن فتن الحياة كثيرة؛ فهذه رغبة في مال أو منصب تُثْني، وتلك رهبة عن طريق رزق أو ولد تَصُدُّ، وهذا سلطان يخيف، وذاك جبار يُقْعِد. إن الفتن من حول الإنسان كفيلة أن تُقعد الداعية وتُثنيه عن قولة الحق والصدع بها ما لم يكن معه من الإيمان وحب الحق والطهر ما يجعله يوضح معالم الهدى، ويعلي كلمة الله.

والشجاعة في الجهر بالحق عند الشيخ تنبعث من اجتماع خلقي عظيمين: أولهما: امتلاك الإنسان نفسه، وانطلاقه من قيود الرغبة والرَّهْبة، وارتضاؤه لونًا من الحياة بعيدا عن ذل الطمع، وشهوة التنعم؛ فكم من داعٍ يبصر الحق ويقدر على التذكير به، ولكنه يحتبس في حَلْقِه فلا يسمع به أحد.. لماذا؟ لأنه لو نطق لَحُرِمَ من هذا النفع، أو لغضب عليه هذا الرئيس، أو لَفَاتَه هذا الحظ، فهو -إيثارا لمتاع الدنيا- يلزم الصمت ويظلم اليقين [١٤٢]

ومن هذه الصفات الجامعة: التواضع والرحمة والتهلل والبشاشة والإنصاف والمروءة والوفاء وكل ما يزين المسلم فضلا عن الداعية . [١٤٣]

---

[١٤٠] : النحل ٤٤

[١٤١] : هموم داعية ص ٣١ ـــ ٣٣ ، ومشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص٨٢ ـــ٨٣ ، وكنوز من السنة ص ١٢ ـــ١٤ ، والغزو الثقافي ص٢١١ ـــ ٢١٤ ، ومع الله ص ٣٧٧

[١٤٢] : مع الله ص١٩٢

[١٤٣] : الحق المر ص٢٢١ ، وفي موكب الدعوة ص ٧٣ ، وتأملات في الدين والحياة ص١٨٧ ـــ ١٩٠ .

المبحث الرابع : مكانة القرآن الكريم عند الشيخ محمد الغزالي :

إن مسيرة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله مع القرآن الكريم في طول حياته تبين لنا اهتمامه الكبير بالقرآن وجعله محور العمل في كل شيء، فإذا استقى علما فمن القرآن وإذا أراد الحكم في أي موضوع فالقرآن هو المرجع، فكان رحمه الله من العلماء المجتهدين اجتهادا مبنيا على المرونة والمقاصد وكليات الدين، وكان مرد هذا وسببه ما كان معه من الفقه بمقاصد القرآن الكلية، يحاول تدبر ما فيه من الأهداف والتعرف على كيفية تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم معه. وأكبر مظهر لمكانة القرآن الكريم عنده حضوره في كل أعماله، ولا نكون مبالغين إذا قلنا إن أعماله كانت قرآنية؛ لأنه ندب نفسه لحمايته والدفاع عنه ورد ما ران على عقول الناس من خلفية بعيدة عن حقيقته سواء من المؤمنين به أو الكافرين الجاحدين له. وفي هذا التوجه إنزال للقرآن على الواقع، الذي يرى وجوب الاهتمام به، فهو ابن دين لا يرى الخير إلاَّ فيما تحته عمل، وما كان جهاده طول حياته إلاَّ محاربة فكر أدار وجهه وتنكر لحق رغم أنه يعرفه، لكنه اعتبره من مخلفات العهود الغابرة .

فكانت غالب أحاديثه حول آية أو حديث هما المحور الأساسي للقول، ولم يكن يقصد إلى التفسير بالمعنى التقليدي لكنه كان حاضرا دوما في عمله، وفي أثناء ذلك يقرأ الواقع على صفحاته ويحاول تفعيل الفهم لاستثماره في الواقع، وإبعاد الفهم السطحي أو المقتصر على اجترار أقوال السابقين.

وأثناء التفسير يقدم الموضوع بإخلاص يصل إلى ما يريده من السورة وكان يتزلها على أوضاع المسلمين قديما وحديثا، يعرض مفاصلها ووحداتها عرضا موجزا لكنه مستوعِب، فتصبح بذلك السورة صورة شمسية كما يقول معروضة أمام عينيه، يفصل القول في موضوعها فيرسم بذَلك وحدة متكاملة متناسقة ما يظنه بعض الناس أشتاتا أو أجزاء مفككة ، ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في مقدمة كتابه المسمي :نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم :

(لقد صحبت القرآن الكريم من طفولتي ، وحفظته في سن العاشرة ، ومازلت أقرؤه وأنا في العقد الثامن من العمر)[١٤٤]

وكان هذا الاهتمام وليد تقدير للقرآن قدره الجدير به، وهو تقدير عالم خبر أنواعا من آثار السابقين والمتأخرين فما وجد وما ينبغي أن يجد أحسن من القرآن هداية، كتاب «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) [١٤٥]

ولهذا الكتاب الكريم اعتباره ومكانه ضمن سائر الموجودات وهو في فكر الشيخ الغزالي يعدل نصف الوجود كله فالمخلوقات جميعا دلائل على الله تعالى وجودا ووحدانية والقرآن كذلك مثلها في الدلالة ذلك كتاب مرئي منظور وهذا كتاب مسطر مقروء.

ولنصغ إليه يستشهد على هذه المكانة التي أولاها الله تعالى للقرآن فيقول الشيخ ذكرت يوما أنه عندما أراد ربنا أن يتكلم عن بركته وامتداد نعمه، ذكر مرة القرآن ومرة الكون:

«تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [١٤٦]

«تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»[١٤٧]

وعندما أراد أن يذكر أنه أهل الثناء الحسن والحمد والشكران، قال:« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»[١٤٨]

وقال:« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ»[١٤٩]. فالقرآن الكريم : دستور الإسلام ومعجزته الباقية [١٥٠]

ولما كانت هذه حقيقة مكانة القرآن الكريم في الوجود فإنه لا يمكن أن يتعارض المصدران أو يتناقضا بل يتفقان، ويسيران على منهج واحد إلى غاية واحدة، ومادامت من مصدر

---

١٤٤ : نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي ص ٥

١٤٥ : الإسراء ٩

١٤٦ : الملك ١

١٤٧ : الفرقان ١

١٤٨ : الأنعام ١

١٤٩ : الكهف ١

١٥٠ : التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ص ٦

واحد ف«...يستحيل أن تختلف حقيقة كونية وحقيقة قرآنية، كما لا يختلف قول العاقل وعمله، والواقع أن القرآن في الدلالة على الله :«كون » ناطق، كما أن هذا الكون الضخم :«قرآن» صامت وكلاهما ينبثق من ذات واحدة ويهدف إلى غاية واحدة» واستدل الشيخ لهذا بالإسقام على الكون وما فيه في القرآن فلا يمكن أن يقسَم بما لا يصدقه المقسِم به ولا يدل عليه.

وهذه النظرة إلى الوجود وإلى القرآن الكريم هي التي بني عليها المعهد العالمي للفكر الإسلامي منهجه في التعامل مع القضايا الفكرية، وبها سار في تجديد الفكر الإسلامي المعاصر؛ وكان للشيخ إسهام كبير في وضع أطروحات هذه المؤسسة، وأعمالها الفكرية.

وهو يقف موقفا معتدلا في هذا حتى لا يظن المرء أن القرآن بهذه المنزلة هو كتاب فنون، جامع لكل شيء بالمعنى التفصيلي، وهي القضية التي تتردد كثيرا في الأخذ بالإعجاز العلمي بين رفضه والإيغال فيه، فالشيخ يبعد القرآن مما قد يعتقد فيه أو يحمله البعض ما لم يحتمله

أما باعتبار المكانة الوظيفية فقد جاء القرآن من أجل الإنسان، ينير له الطريق وهو كتاب نزل للحياة يصوب الحق فيها ويخطئ الباطل لذلك لا يمكن أن يبتغى الهدي في سواه، أو يعدل عما فيه لأنه كله حق.

ومن هذا فهو كما استنتج الشيخ القرضاوي أول مرتكزات الفكر الدعوي عند الشيخ، تليه السنة ثم التاريخ ثم الثقافة العامة دينية وإنسانية ثم الواقع وهي في ذاتها ليست إلاَّ معينة على التفسير ويظهر الشيخ جانبا من عظمة القرآن الكريم حين يتحدث عن مواجهته لخصومه إذ بلغ من القوة في الإقناع والتأثير أن جعل أعداءه وهم يخاصمونه يشعرون أنهم مبطلون فكان هذا بعض أسرار إعجازه، وابتغى البعض آيات مادية وقالوا «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى» [١٥١]

وقد كان الشيخ رحمه الله مخلصا لما انتهى إليه من نتائج وما اعتقده من مكانة عمل على تبصير الناس بها بسبل قرآنية وكان ذلك أحد أسباب نجاح مساعيه وإتيانها أكلها وما تزال، فإنا لنرى في فكر الشيخ بسبب عمله القرآني نصاعة الإسلام والمنهج الذي يرتضيه

[١٥١] : الرعد ٣١

القلب وتبتهج له النفس؛ لما يبعث فيها من الاطمئنان في صلتها بربها وسعادتها في إرضائه بعمران أرضه في الحياة الدنيا.

والشيخ في هذا التصور الجليل لم يكن إلاَّ مستجيبا لنداء القرآن الكريم وكان له شرف التبيين للناس، وإيقافهم على عللهم والوصول بهم إلى أن يطمئنوا إلى ما وصف لهم من أدوية من خلال ما يشخصه من واقع العالمين تجاه ربهم وقرآنه.

لقد حفلت أعمال الشيخ بالسعي الحثيث على تصوير الحال التي عليه عامة الأمة أهل الفكر فيها وغيرهم في موقفهم من القرآن، ونحن نقف على بعض من هذه التشخيصات والتصحيحات التي قدمها الشيخ في المجال التربوي وفي المجال الفكري والمجال العملي والاجتماعي مما له صلة بالقرآن الكريم مباشرة.

وقد سبر الشيخ أوضاع الأمة ووقف على أسباب تخلفها، بل كان هذا الواقع أشد ما يؤلمه في حياته وعاش على أمل تغييره، ولم يكن يرى أسبابه من خارج الأمة فحسب بل كان تشخيصه منطلقا من واقع الأمة، ومما كسبت أيدينا من تعاملنا غير السليم مع القرآن تعاملا يتطلب الكثير من العمل والجرأة في الاعتراف بهذا الواقع، والإيمان بوجوب تغييره، وهذا هو السبب الذي جعل بعضا من المسلمين لا يتفقون معه وغيرَهم يكيد له؛ لأن الذي يدعو إليه يتعارض بل بصادم مصالحهم، ويتعارض مع مألوف المخالفين له من المسلمين، وليس من الميسور تغيير المنهاج وترك ما وجد عليه السابقون.

وترتكز آراء الشيخ في إصلاح الوضع على العودة المخلصة الجادة إلى القرآن الكريم، عودة في طرق التدريس والتعليم وعودة في منهج الفهم، وفي التعامل بمعناه الواسع،حتى يعود القرآن مركز الدائرة في ثقافة المسلم المعاصر، ومحور تفكيره ومنهج حياته.

وتميز منهج الشيخ في ندائه بالعودة إلى القرآن بالدعوة إلى النظرة الشاملة إليه، ونبذ النظر الجزئي السطحي المفضي إلى النتائج الجزئية والقريبة والآنية التي سرعان ما ينتهي صلاحها، أو يظهر عدم صحتها وعدم صوابها، فكان لابد من الاتجاه نحو القرآن الكريم بالجهد المطلوب الطويل النفس، والعميق النظر؛ ولا يعقل أن يدعو القرآن إلى استغلال الوجود المسخر للإنسان قدر الإمكان البشري ويبقى المسلمون في بدايات الطريق في أحسن أحوالهم وعلى هامش الحياة البشرية، وأسوأ من ذلك أن يكون الوضع ناشئا عن فهم

سقيم للكتاب أو جزئي، وقد آتى الله عباده من آياته ليرفعهم بها لا ليخلدوا إلى الأرض بتركها وإتباع الأهواء؛ وكانت دعوة الإصلاح الغزالي متعددة المجالات لهذه النظرة الشاملة أمام واقع متعدد الجوانب، كثير الواجهات الجهادية ، ومن تدبره لآيات القرآن قال الشيخ في كتابه المحاور الخمسة للقرآن الكريم (الله الواحد ، والكون الدال علي خالقه ، والقصص القرآني ، والبعث والجزاء ، والتربية والتشريع ، هذه هي المحاور الخمسة التي أفاض القرآن في ذكرها : وأنتهي الشيخ إلي أنها أمهات لمسائل أخري تندرج تحتها ، بل ذهب المسلمون يعالجون تفسير القرآن معالجة جزئية حرفية ، دون أن يبسطوا الحقائق القرآنية ألكبري بسطا يرتفع إلي مستواها ، ويستمد منها القيم القرآنية التي وضعها الله لتقود المسلمين بالقرآن إلي التي هي أقوم [١٥٢]

[١٥٢] : المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي ص٢

المبحث الخامس : أساليب الدعوة في العولمة عند الشيخ محمد الغزالي :

·قال تعالي: (ومَنْ أَحْسَنُ قَولاً مِّمَّنْ دَعَا إلى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمين)[١٥٣]

وبالطبع ليست كل دعوة يترتب عليها هذا الأجر العظيم والجزاء الوفير، إنما يقتصر ذلك على اقتفاء أثر رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ والمنهج الذي سار عليه· وما أكثر الدعوات التي قامت تدعو باسم الإسلام إلى الإسلام، وهي أبعد ما تكون عن روحه ومقاصده، فكان أثرها الإساءة إلى الإسلام وتعاليمه وخطابه الدعوي من حيث أرادت الإحسان ·

إنه لا خوف أبداً على دعوة الإسلام من أن يكون لها مناهضون من خارجها، فتلك سنَّة من سنن الله الجارية، ومقوِّم من مقومات صلاحية الحياة للبقاء، أما أن يكون أعداء الدعوة هم أبناؤها ورجالاتها فذلك ما يُذهب النفس حسرات، ويُقطّع القلب زفرات· والعلاج الوحيد الذي يضمن للدعاة اليوم استعادة العافية، وقوة الأثر والتأثير في المجتمعات هو السير على آثار خطى رسول الله في دعوته والقواعد التي انطلق منها يدعو ويبلِّغ ويدعو ويبلِّغ ·

ويحسن بنا أن نتتبع هذه الطريقة ونذكر أهم مركزاتها؛ لتكون نبراساً للدعاة، ووميضا يبرق للعاملين، وذلك من خلال أحد دعاة الإسلام، صاحب تجارب واسعة في هذا الميدان، وخبير بالحياة وعللها، ومكين في الوحي الأعلى، وصاحب ثقافة موسوعية، عاش حياته للإسلام ومات وهو يدافع عن الإسلام، إنه الشيخ <محمد الغزالي >عليه رحمة الله ورضوانه ·

إن الشيخ الغزالي انتهج منهجا في الدعوة جدد به دماءها، اقتفى فيه أثر رسول الله وصحبه الكرام، وسلك طريقةً في الإصلاح والفكر والتغيير أصلح بها كثيرا من المفاهيم، وأحيى الفكر الإسلامي ·

وباستقرائنا السريع لكتاباته التي بين أيدينا وجدنا أهم المرتكزات التي تدور حولها طريقته الإصلاحية، وينطلق منها منهجه الدعوي تتركز فيما يلي :

أولا: التدرج والتركيز على الكليات :

---

[١٥٣] : فصلت ٣٣

وهذا منهج قرآني محمدي، فالقرآن الكريم لم يفرض الشعائر والفرائض مرة واحدة، إنما فرضها فريضةً فريضة مع مراعاة الوقت الذي تفرض فيه، ثم التدرج والتمر حل في الفريضة نفسها، والأمر في المحرمات سواء بسواء ·

وإنه واضح غاية الوضوح في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وفي منهجه الدعوي، فلا يخفى على أحد أن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مكث في مكة ثلاثة عشر عاماً يربي أصحابه على الأصول والكليات، وظل القرآن يتنزل عليه موجها الجماعة المسلمة الوليدة إلى الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وأصول الأخلاق وأساسيات السلوك ومبادئ المعاملات، وعلى الرغم أن القرآن المكي تنزل ببعض التشريعات بينما استكمل القرآن المدني أغلبها، إلا أن القرآن المكي كان جل تركيزه في تربية المسلمين على أصول الإسلام الكبيرة ومقاصده الأساسية ومبادئه العليا، ولعل آخر ما وجهه الرسول لأمته من نصح في خطبة الوداع يشير إلى ذلك ·

والشيخ الغزالي لم يشغل نفسه يوما ما بالفر عيات، إنما كانت حملته على الذين ينشغلون بترقيع الثوب والجسد تسيل منه الدماء ·

إن الذي يطالع كتب الشيخ الغزالي يشعر للوهلة الأولى أنها <تحمل عاطفة الأم على وليدها المريض الذي تخشى أن يفترسه المرض ···· وكانت كتبه وكتاباته تواجه التحديات الداخلية والخارجية على حد سواء [١٥٤]

لقد جأر في وجه التيار العلماني الذي حاول سلخ الأمة من عقيدتها وشخصيتها المتميزة، كما كانت له صولات وجولات في مقاومة الزحف الأحمر والمد ألتنصيري، ولعل مؤلفات الشيخ وهو في شرخ الشباب خير شاهد على ذلك ·

وفي كتابه فقه السيرة يلخص دعوة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في بدايتها تحت عنوان <إلام ندعو الناس>، يقول< :وسور القرآن الذي نزل بمكة تبين العقائد والأعمال التي كلف بها عباده وأوصى رسوله أن يتعهد قيامها ونماءها، وأول ذلك :

1ـــ الوحدانية المطلقة ·····

2ـــ الدار الآخرة ····

[١٥٤] : مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص ١٠

3ـــ تزكية النفس ....

4ـــ حفظ الجماعة المسلمة باعتبارها وحدة متماسكة تقوم على الأخوة والتعاون .[١٥٥]

وعند وصول النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ إلى المدينة، ماذا يفعل؟ هل يشرع في الكلام عن الفر عيات مع التأكيد عليها ولا سيما قد انتهى في المرحلة المكية من تثبيت وترسيخ الكليات؟ كلا.. كلا. لم يفعل ذلك، إنما كرر وأكد على ما كان في المرحلة المكية، يقول الشيخ< :من هنا شغل رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أول مستقره بالمدينة بوضع الدعائم التي لابد منها لقيام رسالته، وتبين معالمها في الشئون التالية :

1ـــ صلة الأمة بالله .

2ـــ صلة الأمة بعضها بعضها الآخر .

3ـــ صلة الأمة بالأجانب عنها ممن لا يدينون بدينها [١٥٦]

وبالتالي اتخذ الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لذلك خطوات عملية، وشرع في تنفيذها، فبني المسجد، وآخى بين المهاجرين والأنصار، ووضع دستوراً لمعاملة غير المسلمين [١٥٧]

إن النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يوطد العلاقات الروحية، ويعمق الأصول الإسلامية، ويرسخ المعاني الكلية، فإذا تم هذا فلا خوف على الأمة من الخوض في الفرعي والخلافات؛ لأنه حينئذ سيكون منضبطا بضوابط ما ترسخ من أصول وتوطد من علاقات .

وتحت عنوان <كيف ندعو إلى الإسلام >يحكي الشيخ أنه دخلت عليه فتاة لم يعجبه زيها أول ما رآها، لكنه لمح في عينيها حزنا وحيرة يستدعيان الشفقة والرفق بها، وبعدما بثت شكواها علم الشيخ أنها فتاة عربية لكنها تلقت تعليمها في فرنسا، فلا تكاد تعلم عن الإسلام شيئاً، فأخذ يشرح لها حقائق ويرد شبهات ويجيب على أسئلة، ويصف لها الحضارة الحديثة بأنها تعرض المرأة لحما يغري العيون الجائعة، ثم انصرفت إلى سبيلها .

ودخل بعدها شاب عليه سمات التدين يقول للشيخ في شدة: ما الذي جاء بهذه الخبيثة إلى هنا؟ فقال له الشيخ في رفق: إن الطبيب يستقبل المرضى قبل الأصحاء. فقال له الشاب:

---

[١٥٥] : فقه السيرة ص ١٠٨ ـــــ ١١٠

[١٥٦] : نفس المصدر السابق ص٢٠٧

[١٥٧] : فقه السيرة ص ٢٠٨ ـــــ ٢١٩

طبعا نصحتها بالحجاب؟ فقال له: الأمر أكبر من ذلك، هناك المهاد الذي لابد منه، هناك الإيمان بالله واليوم الآخر، والسمع والطاعة لما جاء به الوحي في الكتاب والسنَّة، والأركان التي لا يوجد الإسلام إلا بها في مجال العبادات والأخلاق· فقاطع الشاب الشيخ قائلا: ذلك كله لا يمنع أمرها بالحجاب، فقال الشيخ في هدوء: ما يسرني أن تجيء في ملابس راهبة وفؤادها خال من الله الواحد، وحياتها لا تعرف الركوع والسجود· فقاطعه الشاب مرة ثانية، فقال الشيخ في حدة: أنا لا أحسن جر الإسلام من ذيله كما تفعلون، إنني أشيد القواعد، وأبدأ البناء بعدئذ، وأبلغ ما أريد بالحكمة·[١٥٨] وجاءته الفتاة بعد ذلك بخمار على رأسها ·

وتحت عنوان <الدعوة ليس طريقها العنف >ذكر حديثا في كتاب الاستئذان من صحيح البخاري، قال سعيد بن أبي الحسن للحسن: إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورؤوسهن ·قال: اصرف بصرك (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم)·[١٥٩]ولكن إيراد الشيخ لهذا الحديث لم يعجب بعض الشباب، وقال له: ليس هذا ما تعلماه، أن المرأة المتبرجة تسحر الناس بجمالها، وقد قال الفقهاء: إن الساحرة تقتل، وهذه تسحر الناس بجمالها، بل إن المستعلنة بالفاحشة يجوز قتلها دون إذن الإمام ·

واستنكر الشيخ هذا القياس الفاسد، وبعد حوار معهم قال الشيخ< :ليست كل واحدة مشت مع هذه المواريث تريد الرذيلة أو تبغي الفتنة، ربما كانت خالية البال، وربما كانت سيئة، والعمل الصحيح هو نشر العقيدة أولا ثم بناء الخلق والسلوك على دعائمها، والعقيدة لا تنشر بفتاوى القتل، واستباحة الناس···· إن منطق قطاع الطريق لا يسمى فقها، والحرص على اتهام الآخرين بالإثم ليس غيرة على الدين ·[١٦٠]

ويتحسر الشيخ في هذا الصدد ناعيا على الأمة عدم وجود دعاة لها يقدمون دعوتها بيضاء نقية، ويشرحون فطرة الله التي فطر الناس عليها· إن ألوفا من أهل أوروبا وأميركا يبحثون عن دين يملأ أفئدتهم ويروي عطشهم الروحي ونهمهم العقلي فلا يجدون، وإذا وجدوا واحداً يحدثهم عن الإسلام عادوا من عنده يرتدون جلباباً أبيض، وعمامة فوقها عقال ·

---

[١٥٨] : الحق المر ص ٢٧ ـــــ ٢٨

[١٥٩] : النور ٣٠

[١٦٠] : الحق المر ص٦٢ ـــــ٦٣

هذا النوع من الدعاة إذا عرض عليه الأوروبيات والأميركيات ـــ كما يقول الشيخ ـــ لكي يُسْلِمن، أمرهن أول ما يأمر بغطاء الوجه، وأنكر عليهن بسوء أدب السفور والتكشف، يقول الشيخ محتداً< :ومن قال لامرأة سافرة الوجه: غطي وجهك يا عاهرة ! يجب دينا أن يقاد إلى مخفر الشرطة ليجلد ثمانين جلدة، وتهدر كرامته الأدبية، فلا تقبل له شهادة أبداً)[١٦١]

إن هناك مشتغلين بالعلم الديني قاربوا مرحلة الشيخوخة ألَّفوا كتباً في الفروع، وأثاروا بها معارك طاحنة في هذه الميادين، ومع ذلك فإن أحداً منهم لم يخط حرفاً ضد الصليبية أو الصهيونية أو الشيوعية [١٦٢]

إن الاشتغال بالجزئيات على حساب الكليات يتولد عنه ـــ في فكر الشيخ الغزالي ـــ أمران خطيران، كلاهما يهوي بالأمم من حالق ويذهب بريحها، الأول: ضعف الخلق، والثاني: العجز العجيب عن فقه الدنيا والاقتدار على تسخيرها لخدمة الدين[١٦٣] إن دعوة من الدعوات لن تبلغ أوجها أو تحقق أهدافها ما لم تركِّز على الكليات، ولا سيما في وقت وهن فيه جسد الأمة، وتفرق مع ذلك جمعها، فتكالبت عليها الأمم من كل حدب وصوب، إن هذه دعوة ليست جديرة بالبقاء، إنما ستعيش ـــ إن عاشت ـــ صغيرة ضئيلة بلا وجود، وستموت صغيرة ضئيلة بلا أثر ·

ثانيا: عدم تهويل التوافه وتهوين العظائم وهذه ترجع إلى منهج الإسلام الوسطي الذي لا يغالي أو يقصر، ولا يفْرط أو يفَرط، إنما هو بين المقصِّر والغالي، وبين الموغل فيه والجافي عنه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) [١٦٤]

والمعروف أن الإسلام عقائد وعبادات، وأخلاق وشرائع، ومن التقاء هذه الأنواع تتكون تقاليد ومعالم لمجتمع كامل وجماعة قائمة، لا يغني فرض عن فرض ولا نافلة عن نافلة، فكل تكليف له سره وله أثره ·

---

[١٦١] : مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه ص ٥٣ ـــــ ٥٤

[١٦٢] : هموم داعية ص١٧٧ـــ

[١٦٣] : هموم داعية ص ١٧٨ ـــــ ١٧٩

[١٦٤] : البقرة ١٤٣

والنبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في دعوته لم يهول تافها أو يهون عظيما، إنما وضع الأمور في نصابها الصحيح ·

كان يغضب أشد الغضب إذا سمع بفرقة بين المسلمين، وكان يتغير لون وجهه إذا سمع باتجاه في المجتمع يجنح إلى الغلو والتنطع وبهمل مقاصد الإسلام، فكانت التوافه عنده في مكانها، كما كانت العظائم في مكانها ومكانتها ·

وما أكثر ما عانت الحركة الإسلامية المعاصرة من أمراض مهلكة تتورم فيها بعض التعاليم وينكمش بعضها الآخر، فتصبح العادة عبادة، والنافلة فريضة، والشكل موضوعا، ومن ثم يضطرب علاج الأمور وتصاب الدعوة بهزائم شديدة· وما أكثر ما ضرب بعض أبناء الحركة رقاب بعض من أجل أمور لا تمس أصول الإسلام من جانب، وإنما حملهم على ذلك التعصب الممقوت والهوى المتبع والجهل المركب وإعجاب كل ذي رأي برأيه ·

وما أطول ما عانى داعيتنا الكبير من هذه الطرائق في الفهم، وما أكثر ما تحسر لها واحتد عليها ·

رأى ذات مرة بعض الطلبة والعمال يتواصون بعدم تحية العَلَم، ويزعمون أن تحيته شرك، كما أفتى بعضهم بأن الموسيقى العسكرية ضد الإسلام، فقال لأحدهم< :إن العلم رمز لمعنى كبير، وهذا ما جعل جعفر بن أبي طالب في معركة مؤتة يقاتل دون سقوطه وتنقطع ذراعاه وهو يحمله ويحتضنه، ولم يزعم مغفَّل أن جعفر كان يعبد الراية المنصوبة، ولا يتصور عاقل أن يُعبد مترٌ من قماش، ثم إن الموسيقى العسكرية تضبط الخطوات وتهيج المشاعر وتعين على أداء الواجب، فلا مكان لخصومتها· ثم قال لهم: إنكم مولعون بتهوين أشياء وتضخيم أشياء دون ميزان يحقق العدل ·>

إن الدين الحق وعي صحيح بجملة العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع، وارتسام صورها في نطاق النسب التي تقررت من عند الله لها، فلا تشمل العين الخد، ولا تضرب الأذن الكفين، لكل عبادة مكانها ومكانتها [١٦٥]

إن كثيرا من مسلمي العصر الحاضر ـــ كما يقول الشيخ الغزالي ـــ يرحمه الله ـــ جمعوا شعب الإيمان في خليط منكر كبروا فيه الصغير وصغروا فيه الكبير وقدموا المتأخر وأخروا

---

[١٦٥] : الحق المر ص٤٩ ـــــــــ ٥٠

المتقدم، وحذفوا شعباً ذات بال وأثبتوا أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، فأصبح منظّر الدين عجبا، لا! بل أصبحت حقيقته نفسها حرية بالرفض [١٦٦]إن الإسلام يريد أن ينطلق بأركانه السليمة ومعالمه الثابتة، فإذا ناس يقولون ضموا إلى هذه الأركان والمعالم المقررات التالية: لبس <البديلة >الإفرنجية حرام، كشف وجه المرأة حرام، الغناء حرام، الموسيقى حرام، التصوير حرام، إعلاء المباني حرام، ذهاب النساء للمساجد حرام .... هذه الضمائر الرهيبة تُضم إلى كلمة التوحيد، وقد تسبقها عند عرض الإسلام على الخلق، فكيف يتحرك الإسلام مع هذه الأثقال الفادحة، إنه ــ والحال هذه ــ لن يكسب أرضاً جديدةً، بل قد يفقد أرضه نفسها [١٦٧]

وهذا الفريق من الناس يسميه الشيخ <حزب الخطيئة>، ويجعل علامتهم أن يضخموا التوافه، ويتاجروا بالخلافات، ويتلمسوا للأبرياء العيوب ·

إن الداهية الدهاء ــ عند الشيخ ــ أن يقف في محاريب الدين رجال من على شاكلة <الخطيئة>، وأن يتكلم بلسانه صنف من البشر إذا وقع الإنسان لسوء الحظ بينهم فكما يقع الطارق الغريب أمام بيت لا أنيس فيه، ما إن يقرع الباب حتى يقضم رجله كلب معقور [١٦٨]أولئك قوم يتمنون وقوع الخطأ من الناس حتى إذا زلت أقدامهم وثبوا على المخطئ وظاهر أمرهم الغضب لحدود الله، أما باطنه فالتنفيس عن رغبات الوحش الكامن في دمائهم، يريد أن ينبح المارة ويمزق أديمهم، والويل للمسلمين يوم يشتغل <الخطيئة > بالدعوة إلى الله [١٦٩]

وسبب هذا الخلل عند الشيخ الغزالي هو الجهل بالنسب التي تكوِّن معالم الدين، وتضبط شعب الإيمان [١٧٠] بينما يرى العلاج لهذه الداهية الدهاء ــ على حد تعبيره ــ يتمثل في تزكية النفس الإنسانية، وحسن إدراك العقل البشري للحقائق كلها، وتربية الأجيال

---

[١٦٦] : مستقبل الإسلام خارج أرضه ٧٣

[١٦٧] : المصدر السابق ص٧٦ ـــــ ٧٧

[١٦٨] : تأملات في الدين والحيات ص ١٨٨

[١٦٩] المصدر السابق ١٨٩

[١٧٠] : هموم داعية ص ١٧٢

المنتمية للإسلام نفسياً وفكرياً، تلك التربية التي برَّز فيها السلف الأول، وأضحوا بها قادة ترنوا لهم الدنيا بإعجاب وحفاوة [١٧١]

ثالثا: البدء بالأقربين وبمن له بهم صلة قوية

فإن العصبة القبلية هي مظنة النصرة والمنعة، وتلحق بها في ذلك الصلة القوية والصداقة الحميمة، وإذا لم يستحب للمرء عصبته وتمنعه فمن ذا يستجيب ويمنع؟· ويشهد الواقع والفطرة أنه إذا وجد المرء بين يديه خيراً فإن أول ما ينطلق به إليه عصبته وقومه ليفيض عليهم من هذا الخير، فكيف إن كان الأمر وحيا أعلى يترتب عليه نجاحهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة؟· إن ذلك أدعى وأحرى أن يتوجه به إلى قومه ينقذهم به من النار، ولسان حاله يقول: (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) [١٧٢]

·وهذا ما رأيناه في سيرة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ حيث عرض دعوته على أقرب الناس إليه، يقول داعيتنا الكبير< :ومن الطبيعي أن يعرض الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أولاً الإسلام على ألصق الناس به من آل بيته وأصدقائه، وهؤلاء لم تخالطهم ريبة قط في عظمة محمد عليه الصلاة والسلام، وجلال نفسه وصدق خبره، فلا جرم أنهم السابقون إلى مؤازرته وإتباعه [١٧٣]

ومن هنا آمنت به زوجته خديجة، ومولاه زيد بن ثابت، وابن عمه علي بن أبي طالب، وكان صبياً يحيا في كفالة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وصديقه الحميم أبو بكر· وأراد أبو بكر ـــ رضي الله عنه ـــ أن يعيد سيرة رسوله الكريم في ذلك، فأدخل في الإسلام ـــ بتوفيق الله ـــ أهل ثقته ومودته، مثل :عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وآمن ورقة بن نوفل، والزبير بن العوام، وأبو ذر الغفاري، وعمر بن عنبة، وسعيد بن العاص، وهكذا يكون الداعية ·

يقول الشيخ الغزالي< :وفشا الإسلام في مكة بين من نوَّر الله قلوبهم، مع أن الإعلام به كان يقع في استخفاء، ودون مظاهرة من التحمس المكشوف أو التحدي السافر [١٧٤]

---

[١٧١] : مستقبل الإسلام خارج أرضه ٧٣

[١٧٢] : الأحقاف ١٢

[١٧٣] : فقه السيرة ص١١٢

[١٧٤] : المصدر السابق ص ١١٣

هذا هو أثر العصبة التي تؤمن، فماذا عن التي لم تؤمن؟ رأينا أبا طالب ـــ خفف الله عنه ـــ ذلك الرجل الذي مات على كلمة الكفر، واستنكف أن يقول كلمة ظل الرسول يلح عليه لينطق بها، لكنه أبى إلا أن يموت على ملة عبد المطلب· لقد تحدى قريشا كلها تحدياً معلنا في مواقف كثيرة حتى قال لرسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ< :فوا لله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسي لا تطاوعني على فراق دين عبد المطلب، فقال أبو لهب : هذه والله السوءة!!! خذوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم، فقال أبو طالب: والله لتمنعنه ما بقينا لقد ظل[١٧٥] أبو طالب ـــ خفف الله عنه ـــ حصنا تحصن به النبي الكريم، وموئلا تأوي إليه الدعوة، وظلاً ظليلاً يفيء إليه المسلمون ·

إن الأقربين وأصحاب الأواصر القوية هم أكبر كسب يحتويه الداعية ليمنعوه ويتبعوه، فهم إن لم ينصروه ويؤازروه فلن يصدوه عن سبيله في الغالب، وسوف يكسر النفورَ الذي في قلوبهم، ويهدئ من ثورتهم ضده ورفضهم لما جاء به ـــ ما توطد بينهم وبينه من قربى، وما ترسخ في النفوس من فطرة تنصر العصبة وتحوطها وتمنعها ·

رابعا: الاختلاط بالناس ومراعاة أحوال السائلين :

ومراعاة أحوال السائلين لا تُتصور إلا بوجود سائل ومسئولين، وهذا مقتضى الاختلاط بالناس ومعايشتهم، ولا يُتصور داعية إلا بوجوده بين الناس ومعايشته لهم، ومعاناته معهم آمالهم وآلامهم· وربما يظن الداعية أنه إذا اعتزل الناس سوف يُريح ويستريح، ويُعفي نفسه من ضجرهم وأذاهم، أو ربما تصور أن اختلاطه بهم يضع حجابا على بصره وبصيرته فلا يكاد يرى وجه ربه، ولا يشعر بلذة المناجاة والتأمل ·

إن بعض الدعاة ما زال يفسر قول الله تعالى< :عليكم أنفسكم >خطأ، ويظن أن اعتزال الناس أسلم في مثل هذا الزمان، وموقف أبي بكر من تفسير الآية معروف كما روى الترمذي وغيره ·

ولا شك أنه إذا اعتزل سيستريح من ضجر الناس وأذاهم، لكنه سيُريح الشيطان ـــ سواء كان إنساً أو جناً ـــ ويتركه يؤدي رسالته دون وجل ·

---

[١٧٥] : المصدر السابق ص ١١٤

لكن الشيخ الغزالي ـــ عليه رحمة الله ـــ يرى اعتزال الداعية للناس في ظل ما يحياه الإسلام من محنة جريمةً نكراء وكبيرة من الكبائر، إنه يرى اعتزال الداعية للمجتمع <فراراً من الزحف ونكوصاً عن الجهاد [١٧٦]

إن العبادة الحقيقية لله أن نحرس الفطرة الإنسانية، وأن ندخل في حرب دائمة مع البيئة التي تريد تشويهها أو تغييرها أو تحريفها، فكل مولود يولد على الفطرة، والتقاليد الفاسدة والعقائد الزائفة هي التي تتلقف الأجيال الناشئة وتنحرف بها ذات اليمين وذات الشمال بعيداً عن حقائق الإسلام وصراطه المستقيم، فكيف نترك المجتمعات يستقر فيها الباطل، ويتلاشى منها الحق، ويحل الرجس محل الطهر، والكفر مكان الإيمان، والجور بدل العدالة؟ [١٧٧]

إن أصحاب محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ الأُوَل كانوا ـــ كما يقول الشيخ ـــ بصلابة يقينهم وروعة استمساكهم دعائم رسالته وأصول امتدادها من بعدُ في المشارق والمغارب [١٧٨]

ويتساءل الشيخ: كيف صنع رجل واحد ذلك كله! هذه هي المعجزة، وكان العرب قبل محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ مصابين بحمى الحرب والاقتتال على أتفه الأسباب ما أدى إلى إيقاع الوحشة والفرقة بينهم، حتى شملت هذه الحمى الأقارب أنفسهم، كما قال الشاعر :

وأحيانا على بكر آخين

ا إذا ما لم نجد إلا أخانا

لقد حل مكان هذه الوحشة شعور غامر من الأخوة الخالصة، والحب لله والحب في الله، والإيثار على النفس، وتقديم الآخرة على الأولى، ويبدأ هذا الحب ـــ في رؤية الشيخ ـــ من صلة محمد بالناس، ومن صلة الناس بمحمد [١٧٩]

---

[١٧٦] : الحق المر ص ١١٨

[١٧٧] : فقه السيرة ص ٢٤

[١٧٨] : المصدر السابق ص ١١٩

١٧٩ : كنوز من السنة ص١٢١

فإذا كانت هذه هي أهمية الاختلاط بالناس، فإن مراعاة أحوالهم حين عرض الدعوة عليهم، وتقدير الفوارق بين السائلين لوصف العلاج المناسب يعد أكثر أهمية وأبعد خطرا ٠ ويشبه الشيخ الغزالي الداعية في ذلك بالطبيب الذي يراعي الفوارق البدنية والمرضية بين مريض وآخر، فطبُّ الأرواح كطب الأجسام ٠٠ علم وفن، فقد يصف الطبيب الغذاء الجيد لمريض بالسل، ولا يصف هذا الغذاء لمريض آخر؛ لأنه مصاب بالسكر، ومعنى هذا أن سبب الضعف هو الذي يملي نوع الدواء، ومثل ذلك يقال في علاج الأرواح واختيار الأدوية الناجعة لمرضى القلوب ٠

فقد يصف الرسول الحكيم دواء لحالة لا يصفها لحالة مشابهة؛ لأنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ وضع لهذه الحالة الأخرى دواء آخر يخصها ويناسبها ٠

إن الداعية إذا جهل الفوارق الفردية والنفسية والروحية ولم يدرك أسباب الداء وأصول توصيف الدواء، قد يسيء إلى الدين وإلى الناس، فيصف للإنسان المصاب بفقر الدم رياضة تقتله، ويصف للإنسان المصاب بضغط الدم علاجاً يزيده سوءا على سوء [١٨٠](ويستعرض الشيخ الغزالي بعض الوصايا التي أوصى بها النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ لأشخاص معينين مبينا أحوالهم، يقول< :إذا قال رسول الله ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ)لا تغضب) فاعلم أنها لم تقل لشخص بليد العاطفة، فلا تقلها له، وإذا قال (اتقوا الله وأجملوا في الطلب) فاعلم أنها لم تقل لقعده البيوت فلا تقلها لهم، وإذا قال)إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق) فاحذر أن تقولها لرجل كسول في العبادات٠٠٠الخ [١٨١]

فلا بد من مراعاة حال السائل ودراسة الظروف النفسية والأخلاقية، والإحاطة علماً بظروفه الاجتماعية؛ كي يستطيع الداعية أن يصف له الدواء الناجع بعد أن وقف على تشخيص الداء وملابساته بوعي وفهم ٠

ولعل في قصة قاتل المائة نفس ـــ وحديثها متفق عليه ـــ عبرة لمن يعتبر؛ إذ سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب فأتاه، فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجل عالم، فقال:

---

١٨٠ : من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث ص١٩٣

١٨١ : نفس المصدر السابق ص٣٠

إنه قتل مئة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه الملائكة ...الخ القصة. فانظر إلى من وُصف بالرهبنة وإلى عاقبته، فمع وصف الناس له بـ<أعلم أهل الأرض >إلا أنه لم يدرك ما نتحدث فيه من الظروف والملابسات النفسية للسائل ووجوب مراعاة ذلك فكانت نهايته القتل، أما الذي وصف بالعلم فدله على الطريق الصحيح، حتى لو لم يعرف الدواء فلا عليه أن يعرف بجهله ويرشده على من يشخص الداء ويصف الدواء .

يقول الشيخ الغزالي ـ عليه رحمة الله ـ< :إن قراءة النصوص ـ وبخاصة السنن ـ دون معرفة الملابسات التي أملت بها ليست باباً إلى العلم الصحيح، ولا وسيلة إلى التربية الجيدة [١٨٢]

والحق أن مراعاة الأحوال المختلفة للسائلين لا يصلح له أي داعية فضلا عن عموم الناس، إن ذلك يحتاج إلى الاطلاع الواسع والواعي لإجابات النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ المختلفة للسائلين وملابساتها، والإحاطة بالآثار التي تحدثت عن ذلك، ثم استيعاب العلوم التي تتعلق بالإنسان مثل علم النفس والاجتماع وغيرهما، بالإضافة إلى ذكاء العقل ونقاء القلب، وقبل هذا وذاك توفيق الله تعالى وتسديده. خامسا: تجنب الجدل والنقاشات الحادة الجدل قرين الضلال، وما ضل قوم بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، وما يجوز لأمة تؤكل من يمين وشمال وتنهش فيها الذئاب من كل جانب أن تشغل نفسها بالجدل والخوض في الخلافات والنقاشات الحادة، وإذا كانت قاعدة المنار الذهبية التي تقول : <نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه >ـ مما يجوز فيه الخلاف بالطبع ـ معمولا بها في حال الترف الفكري وقوة الأمة واستقلاليتها، فإن العمل بها والأمة على ما نرى ونسمع ألزم وأوجب .

---

١٨٢ : المصدر السابق ص١٩٣

ويرى داعيتنا أن مصدر هذا الجدل هو الإبقاء على الكلاميان التي دارت رحاها بين الفرق الأولى للمسلمين من مرجئة ومشبهة ومعطلة ومعتزلة وغيرها، ثم تدريس هذا الجدل للعامة من المتعلمين، والعامة من الرعاع، والغفلة عما سيخلفه من آثار سيئة ·

إن في القرآن آيات وعد ووعيد، ولو تركت في مجراها الطبيعي لأدت رسالتها الحق في توجيه النفوس إلى الخير، ولحفظت على المسلمين قوتهم ودولتهم ·[١٨٣]هذا نوع من الجدل يبدد طاقات شباب العلم وشيوخه في الهواء، فهم يتحدثون في غير حديث، ويقاتلون في غير معركة، ولا ينفضُّون إلا عن الكراهية والبغضاء والفرقة فيما بينهم· ونوع آخر من الجدل وهو الخوض في الفرعيان، والوقوف على حرفيتها دون النفوذ إلى فحواها ومقصدها، وهذا النوع له هواته المحترفون الذين تنحصر قضاياهم في مسائل فقهية فرعية معروفة، اختلفت فيها الأمة من بعيد، وهي مختلفة فيها اليوم، ولن يزال الخلاف فيها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ·

وعند الشيخ الغزالي أن الاهتمام بهذه الأهمية ـــ إن صح التعبير ـــ كان خطة ماكرة لصرف العامة عن النقد السياسي ومتابعة الأخطاء التي أودت بالدولة الإسلامية قديما، ويبدو أن الخطة لا تزال تنفذ إلى الآن [١٨٤]

مع أن اختلاف الآراء وتباين المذاهب شيء لا يمكن تجاهله، ولا الفرار منه، فتلك سنَّة لله في النصوص والعقول، كما أن الخلاف لا يُحَل بالسفاهة والعصيّ، وإنما يحل بالتعاون على المتفق عليه، والتماس العذر للمخالف، وكم من ميدان عمل الآن يخلو من الرجال؛ لأن الرجال ـــ كما يقول الشيخ ـــ يتهارشون في ميدان الكلام حول بعض الفروع التي لا تجدي على الإسلام شيئا [١٨٥]

فلابد من منع هذا الجدل ـــ وخيم العواقب ـــ وقبول جميع المذاهب الفقهية المعروفة والاهتمام بتحريك قافلة الإسلام التي توقفت في وقت تقدم فيه حتى عبيد البقر، وتكريس الجهود والأوقات لرد العدوان على ديننا، وإعادة بناء أمتنا على قواعدها الأولى، فإن

---

١٨٣ : المصدر السابق ص١٩٢

١٨٤ : الحق المر ص٣٥

١٨٥ : مشكلات في طريق الحياة الإسلامية ص ١٤٨

الجدل والخلاف الفقهي بهذا الشكل يتحول إلى عناد شخصي، ثم إلى عداء ماحق للدين والدنيا [١٨٦]

سادسا: عدم إهمال النساء: تشكل المرأة مساحة واسعة من خارطة الفكر لدى الشيخ الغزالي، حتى أفرد لها كتابا كاملا سماه< :قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة>، ولا غرو، فأول من آمن على الإطلاق امرأة، وأول شهيدة في الإسلام امرأة، وقد شهدت المرأة بيعة العقبة الكبرى، ودافعت أشرف دفاع عن الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ في معاركه المختلفة، وقاتلت قتال الأبطال في البر والبحر·

إن التلطف مع الإناث والرفق بهم ـــ عند الشيخ ـــ آية اكتمال الرجولة ونماء فضائلها، وهو أدب يبذل للنساء عامة سواء كن قريبات أم غريبات كبيرات أم صغيرات، ومع استقامة الفطرة الإنسانية قلما يتخلف هذا المسلك العالي [١٨٧]

والنساء ـــ في فكره يرحمه الله ـــ مكلفات مثل الرجال، وما من شيء يقوم به الإسلام وتعتز به أمته وكلف به مسلم إلا كلفت المسلمة بمثله، غير أمور محصورات استثنيت النساء منها، ولا تهدم أصل المساواة في التكاليف الشرعية، لكن تقاليد الشرق التي حصرت وظيفة المرأة في المتاع الحيواني قلما تهتم بهذه التكاليف [١٨٨]

إن مجتمعاً من المجتمعات لن تكتمل حياته إلا بشقيه الذكر والأنثى، ولا يتصور مجتمع صالح عندما تكون المرأة حيوانا يُحسن تقديم الأكل والمتعة وحسب [١٨٩] إن أي مطالع للقرآن الكريم والسنن الصحاح يرى المرأة جزءاً حياً من مجتمع حي، فهي تتعلم وتتعبد وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتجاهد ـــ إذا شاءت ـــ في البر والبحر، وتؤخذ منها البيعة على معاقدة الإيمان والأخلاق، وتعارض الحكم أو تؤيده [١٩٠]

ويرى الشيخ أن أشرف وظائف المرأة وأرقى أعمالها هي وظيفة <ربة البيت >ما لم تُخرجها ضرورة ملجئة؛ لأنها إنشاء الحياة وصيانتها وتعهدها حتى تؤدي رسالتها كاملة

---

١٨٦ : هموم داعية ص ٢٢ ـــــ ٢٣

١٨٧ : ركائز الإيمان بين العقل والقلب ص٢٢٩

١٨٨ : من هنا نعلم ص ١٨٢ ـــــ١٨٣

١٨٩ : هموم داعية ص٢٥

١٩٠ : قضايا المرأة ص٤١٣ ، ودستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص١٥٧

[191]كما يدعو إلى تعليمها وتثقيفها حتى تكون على وعي بالقضايا العامة والخاصة، وتُشرف إشرافا منتجاً على تربية أبنائها [192]

الخاتمة : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه علي ما أنعم علينا من نعم عظيمة ومن هذه النعم كتابة هذا البحث وأسأل الله تعالي أن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

أولا : لقد ذكرت في بحثي : حياة الشيخ محمد الغزالي الاجتماعية ، والعلمية .

ثانيا : أساليبه في نشر الدعوة .

ثالثا : تبين لي من خلال هذا البحث أن الشيخ الإمام محمد الغزالي رحمه الله هو من العلماء البارزين في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين ، فقد بذل حياته ونذر أوقاته لنشر الدعوة إلي الله فقد علا كل المنابر في زمانه وقد بارك الله في أوقاته ن فكان ،أنموذج للداعية بكل وسائل عصره .

التوصيات :

أوصي إخواني الدعاة بقراءة كتب الشيخ الإمام محمد الغزالي كلها .

فهرس المصادر والمراجع :

١ : القرآن الكريم

٢ : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي الطبعة الأولي مؤسسة الرسالة ١٤٢٧ه

٣: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي الطبعة الأولي مؤسسة إحياء الرسالة ١٤٢٠ه

٤: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي الطبعة الأولي ١٤٢١ه

٥: مع الله للشيخ محمد الغزالي دار الكتب الإسلامية القاهرة الطبعة السادسة ١٤٠٥ه

٦: موكب الدعوة للشيخ محمد الغزالي طبع نهضة مصر القاهرة الطبعة الأولي ١٩٩٧م

١٩١ : ركائز الإيمان ص ٢٥٠ ، ومائة سؤال ص ٤٤٣ ، والطريق من هنا ص ١٥٠

١٩٢ : من هنا نعلم ص ٢٠٥ ـــــ ٢١٢ ، وركائز الإيمان ص٢٤٣

٧ : الحق المر للشيخ محمد الغزالي طبع مركز الإعلام العربي القاهرة الطبعة الثانية ١٤١٧ه
٨: خطب الشيخ محمد الغزالي في شئون الدين والحياة طبع دار الاعتصام القاهرة بدون تاريخ
٩: علل وأدوية للشيخ محمد الغزالي دار الكتب الإسلامية القاهرة طبعة ثانية ١٤٠٥ه
١٠: الغزو الثقافي يمتد في فراغنا للشيخ محمد الغزالي طبع دار الاعتصام القاهرة بدون تاريخ
١١: تأملات في الدين والحياة للشيخ محمد الغزالي طبع دار الدعوة الإسكندرية طبعة أولي ١٤١٠ه
١٢: فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي دار الدعوة الطبعة الثانية بتعليقات الشيخ الألباني
١٣: مستقبل الإسلام خارج أرضه كيف نفكر فيه للشيخ محمد الغزالي مؤسسة الشرق للعلاقات العامة والترجمة الأردن الطبعة الأولي ١٩٨٤م
١٤: هموم داعية للشيخ محمد الغزالي دار ثابت القاهرة الطبعة الأولي ١٤٠٤ه
١٥: كنوز من السنة للشيخ محمد الغزالي الهيئة العامة المصرية للكتاب ١٩٩٩م
١٦: من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث للشيخ محمد الغزالي دار نهضة مصر القاهرة ١٩٩٨م
١٧: ركائز الإيمان بين العقل والقلب للشيخ محمد الغزالي طبع دار الاعتصام القاهرة بدون تاريخ
١٨: مشكلات طريق الحياة الإسلامية للشيخ محمد الغزالي الإصدار الأول من السلسلة جمادي الآخرة ١٤٠٢ه
١٩: من هنا نعلم للشيخ محمد الغزالي دار الكتب الإسلامية الطبعة الخامسة بدون تاريخ
٢٠: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي الطبعة التاسعة دار الشروق ١٤٢٧ه ـــــــــ٢٠٠٧م
٢١: المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي دار نهضة مصر الطبعة الأولي بدون تاريخ

٢٢: الموقع الفكري والمعارك الفكرية للشيخ محمد الغزالي طبع الهيئة المصرية العامة ١٩٩٢م
٢٣: قذائف الحق للشيخ محمد الغزالي دار نهضة مصر الطبعة الأولي بدون تاريخ
٢٤: معجم مقاييس اللغة لإبن فارس العربي دار إحياء التراث الطبعة الأولي ١٤٤٢ه
٢٥: المدخل إلي علم الدعوة ل محمد ابوالفتح البيانو ني مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٤٢٢ه
٢٦: كيف تحاور دليل عملي للحوار للدكتور طارق الحبيب مؤسسة الحريسي ١٤٢١ه
٢٧: لسان العرب جمال الدين محمد مكرم بن منظور دارا حياء التراث العربي بيروت ٩٩م
٢٨: مقالات الشيخ محمد الغزالي
٢٩: الدعوة الإسلامية للشيخ محمد الغزالي
٣٠: جدد حياتك للشيخ محمد الغزالي دار نهضة مصر الطبعة الأولي
٣١: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين للشيخ محمد الغزالي دار الوفاء المنصورة الطبعة الثالثة بدون تاريخ
٣٢: قضايا المرأة للشيخ محمد الغزالي
٣٣: صيحة تحذير من دعاة التنصير للشيخ محمد الغزالي دار نهضة مصر الطبعة الأولي
٣٤: نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي
٣٥: حصاد الغرور للشيخ محمد الغزالي دار نهضة مصر الطبعة الأولي
٣٦تفسير القرآن العظيم
المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ]
الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع
الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
٣٧ : معالم التنزيل : المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي
الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع
الطبعة : الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٣٨: الكتاب : فتح الباري شرح صحيح البخاري
المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي
الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩
تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي
٣٩: الكتاب : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج
المؤلف : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي
الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت
الطبعة الثانية ، ١٣٩٢
٤٠: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية
٤١: المعجم الوسيط المؤلف : إبراهيم مصطفي ، وأحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار دار الدعوة تحقيق مجمع اللغة العربية

فهرس الموضوعات :

م	الموضوعات	الصفحة
١.	المقدمة	١
٢.	كلمة الشكر	٢
٣.	خطة البحث	٣ ـــــ ٦
٤.	الفصل الأول : حياته الاجتماعية وفيه : المبحث الأول وفيه :مطالب : المطلب الأول : مولده ونشأته ، والمطلب الثاني : صفاته الخلقية	٨ ـــــ ٩
٥.	المطلب الثالث : المحن التي أصابته في سبيل الدعوة ، المطلب الرابع :وفاته	١٠ - ١١
٦.	المبحث الثاني : عن حياته العلمية وفيه مطالب :المطلب الأول :شيوخه ، المطلب الثاني : تعليمه ،المطلب الثالث : مكانته العلمية	١٢-١٣
٧.	المطلب الرابع : مؤلفاته	١٤-١٧
٨.	الفصل الثاني : وفيه مباحث : المبحث الأول : تعريف الأساليب والوسائل	١٨-٢١
٩.	المبحث الثاني : أسلوب الحكمة	٢٢-٢٥
١٠.	المبحث الثالث : أسلوب الموعظة	٢٦-٣٢
١١.	المبحث الرابع :أسلوب المجادلة	٣٣- ٣٨
١٢.	الفصل الثالث :وفيه مباحث : المبحث الأول : الأساليب التي انتهجها في دعوته	٣٩-٥٣
١٣.	المبحث الثاني : فكره وأساليبه في تربية الإناث	٥٤-٥٦
١٤.	المبحث الثالث : الداعية الناجح في الأساليب عند الغزالي	٥٧-٦٤
١٥.	المبحث الرابع : مكانة القرآن الكريم عند الغزالي	٦٥-٦٩
١٦.	المبحث الخامس : أسا ليب الدعوة في العولمة عند الغزالي	٧٠-٨٢
١٧.	الخاتمة والتوصيات	٨٣
١٨.	فهرس المصادر والمراجع	٨٤-٨٦
١٩.	فهرس الموضوعات	٨٧-٨٨